لمكتبة الثقافية

١٣٦

الدكتور أحمد فؤاد الأهواني

Bibliotheca Alexandrina
0178221

الدار
المصرية
للتأليف
والترجمة

أول يوليه ١٩٦٥

المكتبة الثقافية
١٣٦

المدارس الفلسفية

الدكتور احمد فؤاد الاهواني

الدار
المصرية
للتأليف
والترجمة

اول يولية ١٩٦٥

توزيع

مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدقي - الفجالة - القاهرة

تليفون : ٩٠٨٩٢٠

الفلسفة والمجتمع

الانسان مدنى بالطبع ، يعيش فى مجتمع يتعاون افراده على النهوض بحاجاته المختلفة ، ولا بد له من توفير بعض الحاجات الضرورية اقلها المأكل والملبس والمسكن والدفاع عن النفس من المخاطر . ومنذ ازمنة موغلة فى القدم يقدرها العلماء بما لا يقل عن عشرة آلاف عام قبل الميلاد ، ارتقى الانسان سلم الحضارة مع ابتكار الأدوات التى يستخدمها فى الطحن ، والطهو ، والنسج والطعن والنزال ، وتعقدت هذه الأدوات شيئا فشيئا حتى ابتعد الانسان اشواطا بعيدة عن حالة الفطرة ، أو الحالة الحيوانية ، وأصبح لا يتيسر له أن يعيش الا اذا تعلم كيف يصنع هذه الأدوات والآلات ، وكيف يستخدمها ويسخرها فى تحقيق مصالحه .

ثم تناقلت الأجيال اللاحقة عن السابقة ما اكتسبته البشرية فى آلاف من السنين ، واصبح «التعلم» و «التعليم» الوسيلة لنقل الحضارة من جيل الى جيل ، فكان التعلم عن طريق المحاكاة سبيلا غير مقصود لهذا الانتقال ، واضحى « التعليم » مرتبة اعلى فى الحضارة يدل على وعى المجتمع باهدافه وغاياته التى يتجه اليها ويسعى الى بلوغها .

هذا التعليم المقصود الموجه الى غاية لا جرم يحتاج الى شعور بالغايات والى معرفة بالطرق الموصلة الى هذه الغايات، مع تنظيم هـــذه الطرق واختيار افضلها اصابة للغرض ، واكثرها استقامة الى بلوغ الهـــدف . ونهض جماعة من اصحاب الغيرة على مصالح قومهم ، يفكرون فى اقوم السبل الى التعليم ، وظهر فى كل امة افراد يعدون منها بمنزلة القادة ، كانوا يسمون غالبا بالكهان او العرافين ، واحيانا بالحكماء ، يرسمون لجماعتهم طريق السلامة والصـــلاح فى السياسة والاخلاق والاقتصاد والدين والفن والعلم .

وافترق الكهان او الحكماء عن غيرهم بامور ثلاثة : التميز بالمعرفة ، واحتكارها ، وصياغتها .

فقـــد شعر الكاهن أن علمه بالطب لعلاج الابدان ، والسحر لتســـخير القـــوى الطبيعية او تجنب ضررها وتخفيفها ، اكسبه سلطانا على الناس جعلهم يلجأون اليه كلما حزبهم امر ، فيمنحهم التمائم والتعاويذ والاعشاب التى يتداوون بها . هذا السلطان جعله يشعر بالتميز عنهم ، والمنزلة فيهم ، ويبحث عن علة هذه المنزلة فراى انها ترجع الى المعرفة ، فاقبل عليها ، واستزاد منها ، واحتفظ بها سرا لنفســه حتى يظل متميزا عن غيره .

ومن هنا نشا احتكار المعرفة .

والمعرفة النظرية طريقها وعر ، محفوف بالاشواك ، لا بالورود والرياحين . انه طريق يحتاج الى الداب والمثابرة :

مع انعام النظر وادامة التامل واستخلاص الفكر ، واستنتاج القواعد العامة من المشاهدات والتجارب ، ثم تطبيق القاعدة لمعرفة صحتها ، وتصحيحها اذا تبين فيها خطا ، مما يحتاج الى زمن طويل قد لا يقاس بعمر الفرد ، بل بعمر اجيال واجيال . ان ما بلغته البشرية اليوم من علم ومعرفة انما هو ثمرة الانسانية كلها منذ انبثاق فجر الحضارة ؛ انه تاريخ الفكر البشرى ، مرّ — ولا يزال — بمرحلتين ، مرحلة احتكار ومرحلة اباحة . ففى مرحلة الاحتكار يحتفظ فرد ، والأغلب بضعة أفراد قليلون ، بأسرار المعرفة التى اما ان يكون قد حصّلها بنفسه ، أو أخذها عن معلمه ، وحفظها عنه ، ليودعها تلميذا آخر ، وهكذا ، بحيث تتسلسل المعرفة فى أسرة معينة ، أو جماعة معينة ، جيلا بعد جيل . ولذلك كان هذا الضرب من التعليم سراً من الأسرار ، وكانت مدارسه سرية ، وتعاليمه « مستورة » أو « باطنية » . اما النوع الآخر فهو التعاليم المباحة المنشورة ، والتى يسمح للناس بمعرفتها . الا ترى الى مباحث الذرة والتفجير الذرى وصنع القنبلة الذرية والهيدروجينية كيف تحتفظ بها بعض الدول فى العصر الحاضر سراً من الاسرار . بل أيسر من هذا الا ترى كيف تحتفظ الشركات الصناعية « بسر الصنعة » حتى لا يزاحمها فى السوق احد ؟ فلا عجب ان تنشأ فى القديم المدارس السرية وتحتكر المعرفة ومايتبعها من نفوذ وسلطان.

ولكن المعرفة تحتاج الى تعبير ، ويحتاج التعبير عنها

الى صياغتها فى ثوب من اللغة والعبارات حتى يمكن نقلها من شخص الى آخر . وقد بدأ التعليم شفاها ، أو بالاصطلاح الفنى « سماعاً » ، أى ما يسمعه التلميذ عن معلمه ، أو ما يسمعه الطفل من أهله فيحاكيهم . فلما اهتدى الانسان الى تسجيل الالفاظ والعبارات بالكتابة والتدوين ، امكن الاحتفاظ بما اهتدى اليه من معرفة ، والرجوع اليه عند الحاجة ، وتأمله ، والنظر اليه ، ومراجعته ، وتصحيحه ، والتقدم به خطوة خطوة الى الأمام . وأهم من ذلك كله فيما يعنينا الآن انه استطاع القيام بتعليم هذه الالوان من المعارف بطريق منظم ، وهو الطريق المعروف بالمدارس والتدريس . وامكن ايضا ان يستقل التلميذ على البعد بالاطلاع على ما جاء فى هذه الكتب ، وان يأخذ عنها بغير معلم سماعاً ، ولو أن طريق السماع أولى وآثر وأكثر فائدة .

ويتبين من هذا الاستعراض السريع للحضارة البشرية ان قيام المدارس انما نشأ فى عصر متأخر نسبيا فى تاريخ هذه الحضارة ، يمكن أن يحدد على وجه التقريب بالقرن السادس قبل الميلاد من جهة الزمان ، وفى بلاد اليونان من جهة المكان . وليس معنى ذلك انه لم تنهض مدارس قبل ذلك فى بقاع اخرى من الدنيا المتحضرة ، وبخاصة فى أرض مصر التى كانت نبراساً اهتدى به اليونانيون . فنحن نعرف أن قدماء المصريين باعتراف اليونانيين انفسهم — كما سجل ارسطو فى أول كتاب الميتافيزيقا قائلا : ان فلاسفة الاغريق

اخذوا عن المصريين علم الهندسة ـ كانوا اصحاب حضارة عريقة تمتد اكثر من اربعة آلاف سنة قبل الميلاد ، وانهم برعوا فى علوم الفلك والرياضيات والطب والكيمياء ، الى جانب تقدمهم فى الفنون والآداب كالموسيقى والتصـــوير والنحت والبناء . ولا نزاع فى أن تقدم هذه العلوم والفنون ذلك التقدم العظيم انما اعتمد على تعليم منظم ينقله المعلم الى تلاميذه عن قصد ووعى . غير أن ذلك التعليم نشـــأ فى احضان الدين ، وفى ابهاء المعابد ، وعلى أيدى الكهنة . وقد احتفظ الكهنة بتلك المعارف لانفسهم وجعلوها من جملة اسرارهم . بل ان بعض العلوم التى استقلت عن الدين كالهندسة والبناء ، ظلت محصورة فى طوائف معينة يتوارثها الابناء عن الآباء ، كما كانت الحال فى ســائر المهن والحرف والصنائع الأخرى . ولم يخرج قدماء المصريين من معارفهم الى النور سوى المبادىء الاولية الضرورية لكل صغير ، مثل الحســاب والهندسة العملية ، وبقيت المعارف الراقية العالية محجوبة عن الانتشار .

وقد استطاع بعض المفكرين من قدماء الاغريق فى القرن السادس قبل الميلاد الوصول الى تلك المعارف ، والاتصال بالكهنة فاخذوا عنهم آخر ما انتهى اليـــه العلم المصرى ، ونقلوه الى بلادهم واذاعوه ، وسموا المعرفة الجديدة التى ابتدعوها « فلسفة » ؛ فكانت هذه الصناعة الفكرية لفظاً ومعنى بضاعة اغريقية ، باعتراف الغـــرب والشرق على

To: www.al-mostafa.com

السواء ، ولا يزال اسم الفلسفة دليلا قاطعا على هذه النسبة . أما اولئك المفكرون الذين وفدوا الى ارض مصر ينهلون من مائها شرابا يروى الأبدان ، ومن معارفها انوارا تضيء النفوس والأرواح ، وتغذو الأذهان والعقول ، فانهم عدد كبير سجل لنا التاريخ بعض أسمائهم ، يكفى ان نذكر منهم طاليس ، وفيثاغورس ، وأفلاطون ، وقد انشأ كل منهم بعد عودته من رحلته مدرسة فلسفية ، تختلف كل منها عن الاخرى شكلا وموضوعا ومكانا ، ولكل منها اثر بالغ فى تاريخ الفكر من جهة ، وفى التأثير على المجتمع من جهة أخرى .

فقد يبدو لكثير من الناس فى الوقت الحاضر ان الفلسفة ، هذه الصناعة الجديدة التى ظهرت مباينة للدين والعلم على السواء ، مهمة بعيدة كل البعد عن الحياة الاجتماعية ، وان المشتغلين بها قوم انعزلوا بانفسهم مع افكارهم وأوهامهم واحلامهم ، ثم طلعوا على الناس بهذه الأفكار الغريبة الغير المألوفة . وهذا باطل ، ووهم شائع انتشر عند الجمهور فى العصور المتأخرة التى تدهورت فيها حال الفلسفة ، وامست بعيدة عن الحياة ، منعزلة عن مطالب المجتمع .

***

فاذا رجعنا الى الماضى البعيد فى القرن السادس قبل الميلاد ، وهو وقت ظهور الفلسفة ، راينا ان طاليس كان

متصلا اتصالا وثيقا بحاجات المجتمع فى عصره ، وان فلسفته قامت لخدمة مصالح قومه . نشأ فى مدينة ملطية احدى ثغور آسيا الصغرى ، وهو أحد الحكماء السبعة ، وكان يؤخذ رأيه فى سياسة المدينة . وقد خدمت اختراعاته الفلكية الملاحين ، ويقال انه وضع تقويما فلكيا يعد أقدم ما عرف من نوعه بين فيه أوجه القمر ، وحركة الاعتدالين ، والتنبؤ بحالة الطقس . ولما كان معظم اهل ملطية من البحارة والتجار الذين يخرجون الى البحر فى سفنهم يطوفون بثغور البحر الأبيض للتجارة ، فان مثل ذلك التقويم لا جرم يخدم المجتمع الذى نشأ فيه خدمة جليلة . ثم ان طاليس لم يكن بعيدا عن المشاركة فى السياسة ، فهو الذى نصح المدن الأيونية بالاتحاد للوقوف فى وجه خطر الفرس . وهكذا كانت الفلسفة فى خدمة المجتمع سياسيا واقتصاديا ، وكان الفلاسفة على صلة وثيقة بحاجات المجتمع الذى يعيشون فيه .

وكذلك كان حال فيثاغورس الذى ازدهر بعد نصف قرن من طاليس ، والذى هجر موطنه الأصلى فى ساموس فراراً من حكم طاغيتها بوليقراطس ، وزار مدن الشرق ، واستقر فى مصر زمنا طويلا ينهل من معارفها ويدرس فيها الفلك والهندسة والعقائد ، وأخيرا استقر فى مدينة كروتون بجنوب ايطاليا ، حيث أسس مدرسته المشهورة التى سنفرد لها حديثا خاصا فيما بعد . شارك فى السياسة التى

جرفته تياراتها ، وجنت على فرقته وقضت على عدد كبير منهم . ولكن اتجاه فيثاغورس ومدرسته كان الى الدين والاخلاق اكثر منه اتجاها سياسيا ، فكانت مشاركته للمجتمع وسعيه الى التقدم به عن ذلك الطريق الدينى الاخلاقى . اما طاليس ومدرسته فكانت عنايته بالعلم والنظر فى الطبيعة ، واثمرت مباحثه العلمية فى ترقية المجتمع من هذا السبيل . وهكذا نرى أن الفلسفة اتجهت منذ القديم وجهتين رئيسيتين كل منهما تحاول التقدم بالبشرية ، احداهما علمية تجريبية ، والاخرى اخلاقية ، والتقت الوجهتان فى بعض الاحيان عند بعض الفلاسفة وبخاصة الشوامخ منهم . ويؤيد تاريخ المدارس الفلسفية ما نذهب اليه مما سيتبين عند الحديث عن هذه المدارس . ولكنها على اختلافها وتعددها انما كانت تعكس حاجات المجتمع وتعد مرآة تصور ما يقوم عليه المجتمع من نظم وقوانين وشرائع ، وما يسوده من آداب وفنون وعلوم ، بحيث يتسنى للمواطن أن يفهم طبيعة الحياة فى المجتمع الذى يعيش فيه ، ويترتب على هذا الفهم التمكن من الاندراج فى عجلة هذه الحياة مسهما فى تسييرها لا فى تعطيلها .

ولكن المدارس الفلسفية لم تقف عند تحليل النظم الاجتماعية ومحاولة فهمها الا لكى تعمل على رسم خطوط جديدة لمجتمع افضل بابتداع انظمة جديدة تعمل على تطوير المجتمع وترقيته . ولو انها قنعت بمرحلة

الفهم والتسجيل ما كانت مدارس فلسفية جديرة بأن تحمل هذا الاسم . وفى المدارس العادية كفاية فى القيام بهذه المهمة . اما المدارس الفلسفية فلأنها بحكم وظيفتها من الهداية والارشاد ، فهى تقوم بدور القيادة الفكرية التى تأخذ بيد الأمة الى الأمام .

وليس معنى ذلك ان كل المدارس الفلسفية كانت مجددة فى الفكر ، يتعمق اصحابها فى البحث ، ويشاركون فى الاحساس بمطالب المجتمع ويعملون على رفاهته وتنميته ، اذ تصاب المدارس بما يصيب كل كائن حى من شيخوخة وما يصحبها من جمود وتهدم واندفاع نحو الفناء . وقد نشأت مدارس ثم ماتت ، وبقى بعضها واستمر يعيش على تعليم كتب القدماء وشرحها أو تلخيصها .

***

مر بنا أن المدارس الفلسفية لم تنشأ الا فى بلاد اليونان فى القرن السادس قبل الميلاد . وكان بعضها يتخذ للتعليم مقرا ثابتا ، وينزل فى دار محددة ، على حين لا يتقيد بعضها الآخر بمقر ثابت أو دار معروفة ، وانما ياخذ التلميذ من استاذه مباشرة ثمرة لزومه وصحبته . وهذا النوع الأخير كان يقتصر فى الأغلب على تلميذ واحد ، مثل طاليس وتلميذه انكسمندريس، ثم انكسمانس تلميذ انكسمندريس، ويعرف هؤلاء بالمدرسة الايونية نسبة الى ايونية ، أو

الملطية نسبة الى مدينة ملطية ، او الطبيعية لانها اتجهت فى بحثها الى الطبيعة . وليست هذه التلمذة تلمذة تلقين بل تلمذة صحبة ، كما نقول ان الشيخ محمد عبده تلميذ جمال الدين الافغانى ، نعنى انه صحبه ، واصبح صاحبه ، واعجب بتعاليمه وصادفت هوى فى نفسه ، فأخذها عنه واذاعها ، وقد يتطور بها ويحورها . وكانت هذه التلمذة التى هى ثمرة الصحبة شائعة فى بلاد اليونان ، فكان زينون تلميذ بارمنيدس وصاحبه ، كما كان افلاطون تلميذ سقراط .

ومن الواضح ان هذه المدارس التى لم تتقيد بمكان ، ولا بتعليم منظم وبرنامج محدد ، كانت موقوتة بزمان أصحابها ، على حين ان المدارس التى اتخذت دورا للتعليم مثل الاكاديمية او اللوقيون استمرت زماناً طويلا ، وتتابع عليها التلاميذ ، واستمرت تؤثر فى تيار الفكر المحلى والعالمى على السواء . وما بالك بمدرسة تستمر قائمة تسعة قرون من الزمان ، نعنى المدرستين اليونانيتين الكبيرتين الاكاديمية والمشائية .

***

ومن الطبيعى والمدارس الفلسفية بهذه الوفرة الا يتسع لذكرها كلها هذا الكتاب الصغير ، وفضلا عن ذلك فان الاحاطة الشاملة تخرج عما قصدنا اليه وتجعل البحث

تاريخا للفلسفة ، وتأريخا للفكر . حقا لا يمكن لمن يرغب فى الحديث عن المدارس من حيث بناؤها وفصولها والنظام الذى تجرى عليه فى حياتها التعليمية الا أن يتعرض للمذهب الفلسفى الذى تنادى به هذه المدرسة أو تلك ، غير أن التوسع فى ذكر المذهب يبعد بنا عن القصد .

لهذا كله لن يتسع المقام الا للحديث عن بعض المدارس ، وبخاصة الكبرى منها ، وما كان ذا صلة وثيقة بالحضارة العربية ، مع العناية بذكر المدارس الفلسفية العربية التى تعد جزءا من تراثنا .

الفيثاغورية

اعجب مدرسة فلسفية هى المدرسة التى انشاها فيثاغورس فى مدينة كروتون بجنوب ايطاليا فى القرن السادس قبل الميلاد . فهى عجيبة فى تكوينها ، وعجيبة فى تعاليمها ، وعجيبة فى اثرها .

واول مظاهر العجب انها تسمى الفيثاغورية ، ولا يقال مدرسة فيثاغورس . والفرق بين التسميتين كبير ، لان مدرسة فيثاغورس تنسب الى شخص صاحبها ، وتنقضى بوفاته . اما الفيثاغورية فانها على الرغم من انتسابها الى فيثاغورس الا أنها تتجاوز شخصه الى جماعة الفيثاغوريين ، فالمدرسة فى حقيقة امرها تخضع لهيئة من القادة على راسهم فيثاغورس ، وهذا هو السر فى ان المدرسة لم تنقرض بموت رئيسها . وايضا فان فيثاغورس نفسه تلفه غلالات من الغموض والاساطير ، مما جعل كثيرا من المؤرخين يشكون فى وجوده .

ولسنا نغالى غلو هؤلاء المؤرخين ، فلا بد ان فيثاغورس كان شخصية حقيقية على الرغم من نسيج الخرافات الذى

تراكم حول سيرته . وقد كان القرن السادس كله عصر هزات واضطرابات وانقلابات فكرية فى شتى انحاء العالم المعروف . انه عصر كونفوشيوس وبوذا وزرادشت . وهو العصر الذى ظهرت فيه الفلسفة اليونانية على يد حكماء اليونان . وادت يقظة الشرق الشديدة الى الضغط على آسيا الصغرى وعلى مصر التى احتلها قمبيز فترة قصيرة من الزمن . لما بلاد اليونان فقد انتقل مفكروها من آسيا الصغرى الى جنوب ايطاليا ، ومنهم فيثاغورس . وكان الاغريق يعدون كل بلد ينزلون فيه جزءا من وطنهم ، فالمدن التى انشئت فى جنوب ايطاليا ، وصقلية ، وشمال افريقية ، ومصر ، كلها مدن اغريقية ، يتكلم اهلها اللغة اليونانية ، ويسيرون فى الحكم على النظام اليونانى ، فضلا عن اصطناع الشعر والتمثيل والادب المأثور عن اليونانيين . فلا غرابة أن تنشأ مدارس فى معظم تلك المدن على نسق ما كان معروفا فى الوطن الأم .

ولكن مدرسة فيثاغورس كانت بعيدة عن الروح الاغريقية الاصيلة ، غريبة عن تراث آلهة أوليمبوس وما اثر عن اربابها من حكمة ترجع الى العقل ، وغريبة عن ديونيسوس اله الخمر وما عرف عنه من اندفاع مع الهوى والعاطفة والخيال ، فقد جلب فيثاغورس تعاليمه من الشرق الذى طاف بأرجائه ، ففيه ديانة جديدة جاءت من طراقيا

مع الاله أورفيوس ، وفيه نزعة الى الزهد لا تتفق مع النزعة الديونيسية بوجه خاص .

ويحيط الغموض بشخصية أورفيوس ، فهو الاه ، او نبى ، أو شاعر ، او موسيقار يفتن بموسيقاه الكائنات من شتى الأصناف . وللنحلة الأورفية رأى فى اصـــل العالم وحقيقة الانسان . ففى البدء كان الزمان ، ونشأ عن الزمان الأثير والعماء ، وشكل الزمان بيضة فى الأثير تفتحت فخرج منها النور ، وانفلقت نصفين اصبح احدهما السماء والآخر الأرض . وتزوجت جايا (الأرض) اورانوس (السماء) فانجبا ثلاث بنات وستة بنين . ولكن اورانوس القى بالأبناء فى نهر تارتاروس حين علم بأن ابنـــاءه سيقضون عليه . وغضـــبت جايا فانجبت التيتان وهم مردة جبـــابرة ، وكرونوس ، وريا ، وأقيانوس ، وتيش . وتمضى الأسطورة فتصور لنا كيف ولد ديونيسوس من زيوس ، ثم خطف التيتان الطفل واكلوه ، وكيف أعاد زيوس ديونيسوس الى الحياة مرة ثانية ، وكيف سلط على التيتان البرق والرعد فاحرقهم وجمع رمادهم وخلق منهم الانسان فاصبح بذلك مركبا من طبيعتين ، طبيعة التيتان وهى طبيعـــة الشر والاثم ، وطبيعة ديونيسوس وهى طبيعة الهية سامية .

واصطنعت الفيثاغورية النحلة الأورفيـــة وبخاصة نظريتها فى النفس ونزعتها السرية .

وحين افتتح فيثاغورس مدرسته اجتذبت عددا كبيرا

من الأتباع ، قيل أن عددهم بلغ ما يقرب من عشرة آلاف . وهو عدد ليس ثمرة الاحصاء ، ولكنه ظن وتخمين ، لأن العدد المثالى للمدينة الاغريقية كان ذلك العدد . ومع ذلك فليس من المستغرب ان تبلغ المدرسة هذا العدد لأنها كانت تشمل الرجال والنساء على السواء . نقول مدرسة تجوزا ، لانها كانت اشبه بفرقة دينية ، ونظام من الاخوة ، قريب من الفرق الصوفية التى انتشرت فى الاسلام .

والمدرسة الى ذلك كانت ذات وجهين : احدهما رياضى والآخر اخلاقى ودينى . اما الجانب الرياضى فلم يكن يصلح لهذا العدد الكبير من الطلبة بطبيعة الحال ، بل كان مقصوراً على قلة قليلة من الخاصة . ومعنى ذلك ان المدرسة ولو انها كانت كلها سرية الا انها كانت تقدم دروساً للخاصة ، فى العلوم الرياضية ، واخرى للجمهور فى الدين والاخلاق . وقد بقى هذا التقليد سائداً فى كثير من المدارس الفلسفية ، وسنجده عند ارسطو الذى كان يلقى دروساً للخاصة فى الصباح واخرى للجمهور فى المساء . وهذه التعاليم الخاصة هى التى كانت تحجب عن الجمهور ، وتسمى بالتعاليم المستورة ، ويسميها الغزالى : المضنون به على غير أهله .

ومن الطبيعى ان تكون الرياضيات التى علمتها الفيثاغورية فى القرن السادس قبل الميلاد ساذجة بدائية تمثل أول درجة من درجات هذا « العلم » . نقول « العلم » ، ونعنى بذلك الفرق بينه وبين المعرفة العملية التجريبية ،

لان الانسانية لم تبلغ المرحلة العلمية بمعنى الكلمة الا بعد أن مرت مئات بل الآف من السنين تقتصر على المعرفة التجريبية القائمة على الحس . والرياضة من حساب وهندسة كانت أول العلوم التى اهتدى الانسان اليها ، وذلك على يد فيثاغورس وشيعته . ولم يكن الحساب قد انفصل عن الهندسة ، لان الحساب وهو علم العدد كان يصور على هيئة أشكال هندسية . فقد كان علماء ذلك الزمان يستخدمون « لوح المداد » وهو لوح يملأ بالرمل ويخط عليه الاشكال المطلوبة ، وبالنسبة للحساب يستخدم الحصى او البلى ويوضع وضعاً هندسيا ، اى أن حصاة واحدة تدل على نقطة ، واثنتان موضوعتان جنبا الى جنب هما الخط ، وثلاث حصوات مثلث ، واربع مربع ، وهكذا ، ومن هنا قالوا بالأعداد المثلثة والأعداد المربعة .

وقد وجدوا فى الأعداد خصائص عجيبة عند جمعها وطرحها وضربها وغير ذلك من العمليات . مثال ذلك ان مجموع مربعى العددين المتواليين ٣ ، ٤ يساوى مربع العدد التالى لهما وهو ٥ ، أى ٩ + ١٦ = ٢٥ ، وهذه الخاصية العددية هى التى طبقت فى الهندسة فى نظرية فيثاغورس المشهورة القائلة بأن مجموع مربعى ضلعى المثلث قائم الزاوية يساوى مربع الوتر ، فاذا فرضنا ان طول أحد الضلعين ثلاثة والآخر أربعة كان طول الوتر خمسة . وليس المهم الكشف

عن صحة هذه النظرية ، أو المسألة الهندسية بطريقة عملية ، وانما المهم « اثبات » صحتها « بالبرهان » الرياضى ، اى نظريا لا عمليا . وكان فيثاغورس يعلى من شأن «النظر» على العمل ، وهو صاحب قسمة الناس هذه القسمة المشهورة الى نظار وجمهور ، فالجمهور هم جملة الناس وجمهرتهم المشتغلون بأمور الدنيا والمعاش من زراعة وتجارة ومهن اخرى يزاولونها بأيديهم ، أما « النظار » فانهم لا يشاركون فى هذه الأعمال ولكن « ينظرون » اى يتفرجون من بعيد على الذين يعملون . وقد استمر هذا التقليد الذى يفصل بين النظر والعمل من جهة ، ويعلى من شأن النظر على العمل من جهة اخرى فى الفلسفة اليونانية كلها ، اخذ به افلاطون ثم ارسطو ، وانتقل هذا التراث الى العرب عند نقل الفلسفة اليونانية ، واخذت به اوربا بعد عصر النهضة والعصر الحديث ، ولم يبدأ يتغير هذا المبدأ الفيثاغورى الا فى هذا القرن العشرين .

ويرجع بنا الحديث الى الرياضيات فنقول : ان ما يخيل الينا اليوم من مسائل حسابية وهندسية فى غاية البساطة ومما يدرسه الصبيان فى سن متقدمة بالمدارس كان فى ذلك العهد فى غاية الصعوبة ولا يقوى على فهمه وادراكه الا قلة قليلة جدا هم الفلاسفة . ونحن لا نعرف كم كان عدد هذه الحلقة من الخاصة الملتفين بفيثاغورس لطبيعة السرية التى ضربت حول التعاليم الرياضية ، الى درجة ان

اى واحد يفشى هذه التعاليم كان يعاقب بالطرد . واختلفت الآراء فى امر ذلك الذى افشى هذه التعاليم الرياضية ، فقيل انه « فيلولاوس » وكان فيثاغوريا كتب كتابا من ثلاثة اجزاء اشتراه ديون حاكم سراقوسة بصقلية حسب طلب افلاطون، فتيسر بذلك ان يطلع افلاطـــون على آراء فيثاغـــورس الرياضية . ولكن هذه الرواية ينقضها ما كان يعرفه سقراط من اتباع الفيثاغوريين ، وبخاصة ان افلاطـون نفسه كان يعرف صلة سقراط بهؤلاء الأتباع مما نجده مدونا فى اول محاورة « فيدون » . والأرجح ان الذى افشى تعاليمهم هو « هيباسوس » الذى دوّن هذه التعاليم فى كتاب ، وكان ذلك فى حياة فيثاغورس نفســـه ، وعوقب لهذا السبب بالطرد من الفرقة الفيثاغورية .

ولم تكن الفيثاغورية مدرسة بمقدار ما كانت فرقة تقوم على نظام من الاخوة ، وكانها دير او معبد . وكان جميع افرادها يعيشون معيشة زهد وبســـاطة ، ويلبسون زيا موحدا وهو البياض ، ولا ينتعلون بل يمشون حفاة الاقدام . وقد سبقت الاشارة الى ان سقراط كان من جملة اتباعهم ، فلا غرابة ان يسلك مسلكهم ، فكان يمشى حافى القدمين .

والفيثاغورية اول مدرسة فتحت ابوابها لتعليم المراة ، وبذلك قررت الفيثاغورية مبدأ مساواة المراة بالرجل قبل ان يقرره افلاطون فى جمهـــوريته بقرنين من الزمان . ومن الغريب ان افلاطون على الرغم من المنـــاداة بالمساواة بين

الرجـــل والمراة لم يؤثر عنه انه فتح ابواب الاكاديمية لاى امراة . وعلى العكس كانت هناك مدارس فلسفية فى اليونان ضمت نساء الى جانب الرجال مثل مدرسة ابيقور .

ان تحرير المراة مرتبط ارتباطا وثيقا بتعليمها . ولم تستطع المراة ان تظفر بالتعليم العالى الا منذ اواخر القرن التاسع عشر واوائل هذا القرن فقط . اما قديما فلم تظهر الا محاولات كانت اشبه بومضات لا تكاد تبرق حتى تختفى ، ولم يقدر لها الاستمرار . ولهذا لم يذكر التاريخ امراة كانت صاحب مذهب فلسفى ، او عالمة بالرياضيات او الطبيعيات ويبدو ان راى سقراط فى المراة من جهة تعلمها الفلسفة كان سيئاً ، فقد ذهبت زوجته بصحبة ابنائهما الى السجن تزوره قبـــل اعدامه ، ولم تكد تراه حتى اخذت تولول وتصيح ، فقال لرفقائه : اخرجوا هذه المراة . ونحن نجد هذا الحديث مسجلا فى اول محاورة « فيدون » .

وقد اشتهرت المراة الفيثاغورية بالعفة والفضيلة ، وانها افضل نساء الاغريق . والعلة فى ذلك انها تعلم الادب وبعض مبادىء الفلســـفة ، كما كانت تعلم تدبير المنزل والامومة . ان اشتراك المراة مع الرجل على هذا النطاق الواسع جعل المدرسة الفيثاغورية شيئاً اشـــبه بمجتمع مثالى او مدينة فاضلة . وكانت المدن الفاضلة الشـــغل الشاغل لفلاســـفة اليونان ، حتى ليمكن القول ان هدف الفلسفة صياغة المجتمعات المثالية او المدن الفاضلة ، كما

هى الحال فى جمهورية افلاطون . ولكن معظم المدن الفاضلة كانت من قبيل « الطوبيات » تصورها اصحابها فى الخيال ، ولم تطبق عمليا بالفعل ، فيما عدا بعض المدن الفاضلة القليلة ، ومنها مدرسة فيثاغورس .

واذا كانت الفيثاغورية قد قبلت هذا العدد الكثير من الاتباع والمريدين فان التعاليم التى كانت تقدم لهم هى تلك الخاصة بالدين والاخلاق لا بالعلوم الرياضية . وقد عرفنا ان النحلة التى آمنوا بها هى الأورفية . والأولى ان الفيثاغورية لم تتعصب لديانة بعينها ، بل اخذت من كل ديانة بطرف ، وبذلك عمل فيثاغورس على التوفيق بين الاديان المختلفة فأخذ من طقوس بابل ومصر وتراقيا وعقائد اليونانيين الى جانب الأورفية . وقد ظلت هذه النزعة التوفيقية مصاحبة للفيثاغورية على مدى حياتها . وعندما ظهرت الفيثاغورية الجديدة بالاسكندرية فى القرون الثلاثة الاولى بعد الميلاد امتازت بهذه النزعة التوفيقية ، وبخاصة بعد ظهور المسيحية . حتى اذا انتقلت الفيثاغورية الى العرب فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) ، لازمتها هذه السمة مما نجده واضحا فى رسائل « اخوان الصفا وخلان الوفا » فان اصحابها كتموا اسماءهم ، وزعموا ان تعاليمهم سرية ، وبدءوا رسائلهم بعلم العدد ، كما دعوا الى الزهد وتطهير النفس .

ان بلوغ السعادة القصوى لا يتم الا بتطهير النفس .

ويقوم هذا التطهير على عدة مبادىء ومعتقدات ، على راسها الاعتقاد فى انفصال النفس عن الجسد ، وسمو النفس وتعاليها على البدن ، وبقائها بعد فنائه . ثم الاعتقاد بتناسخ الانفس . ثم اتباع طريق الزهد والرياضة لتصفية النفس وتطهيرها .

سادت فكرة التناسخ عند الفيثاغوريين بعد انتقالها اليهم من فلسفات الهند ومن الاورفية . وكان فيثاغورس — فيما يروى — مؤمنا اشد الايمان بهذه العقيدة ، ويقال انه رأى شخصا يضرب كلبا يعوى ، فأوقفه عن ضربه لانه عرف من صوت الكلب انه احد اصدقائه الذين ماتوا وتناسخت روحه فى هذا الكلب . وتبعا لهذه العقيدة فان صاحب الاعمال الصالحة فى حياته الدنيا تحل نفسه عند الموت فى جسد شخص صالح ، وان صاحب الاعمال الطالحة تحل نفسه فى جسد حيوان . وهذه هى السعادة والشقاوة فى نظرهم .

كانت هذه الآراء شائعة فى مدرسة فيثاغورس ، وكشف افلاطون عنها فى محاورة « فيدون » التى يتحدث فيها عن خلود النفس . وكان سقراط يدين بالفيثاغورية ولكنه اخذ يفكر فى مبلغ ما فى هذه الآراء من صواب ، فقبل بعضها ورفض بعضها الآخر ، قبل رأيهم — او رأي النحلة الاورفية — فى ان البدن سجن للنفس ، ولكن ليس على المرء ان يفر من هذا السجن بالانتحار ، لاننا اشبه بالقطيع الذى يملكه الراعى ، ولا تملك الخروج على امره . ولا بد للمرء ان

يمضي فترة العقوبة مسجونا فى هذا البدن . غير ان سقراط رفض فكرة التناسخ ، على الرغم من قبوله فكرة التطهير .

ان فكرة « التطهير » التى بدأت منذ فيثاغورس ومدرسته فى القرن السادس قبل الميلاد ، تقلبت فى أدوار مختلفة ، واتخذت اشكالا متباينة عند سقراط وافلاطون وارسطو فى الزمن القديم ، حتى اذا بلغنا العصر الحاضر رأينا مدرسة التحليل النفسانى ، ونعنى بها مدرسة فرويد ، تعتمد فى العلاج على فكرة التطهير (Catharsis) . والهدف من التطهير الفيثاغورى هو التخلص من « عجلة الميلاد » اى التخلص من التناسخ فى بدن حيوان ، وبذلك يظل المرء يشقى طول مدة التناسخ ، ويخرج من شقاء الى شقاء . ولم يكتف فيثاغورس لتحقيق التطهير باتباع قواعد معينة فى الطعام والقيام بعبادات منظمة معينة على ايدى الكهنة ، ولكنه اضاف الى الزهد والعبادة شيئا جديدا هو ممارسة العلم الرياضى والموسيقى لتصفية النفس ، كما يستخدم الدواء لتصفية الجسم . ومن المعروف ان فيثاغورس رفع الموسيقى من المرتبة العملية فاصبحت علما نظريا ، فاضحت علم التناسب ، واقامها على سلم يتميز بطول النغمات عدديا . وبذلك ارتفع فيثاغورس بالتطهير من مجرد نزعة عملية الى مرتبة نظرية . وقد اتبع سقراط وافلاطون هذه الطريقة فى التطهير ، فكانا يجمعان بين الزهد والسيرة الفاضلة وبين اكتساب العلوم الرياضية وبخاصة الهندسة . وكان

افلاطون يكتب على باب مدرسته : « من لم يكن مهندساً فلا يدخل علينا » . واستفاد ارسطو من طريقة التطهير فى الفن ، فالتراجيديا بما فيها من مواقف تبعث على الخوف والرعب والشفقة وغير ذلك ، تجعل المتفرج يتقمص هذه المواقف وينفعل بهذه الانفعالات ، فتخرج من باطن نفسه ، ويتطهر منهـا . وروى ان بعض المرضى العصبيين كانوا يعالجون فى القرن الرابع قبل الميلاد بالطريقة الفيثاغورية ، وبخاصة بواسطة الموسيقى .

والمدرسـة الفيثاغورية عظيمة الاثر فى تاريخ الفكر الفلسفى . ذلك ان التفسير الرياضى للكون كان سائداً حتى زمان افلاطون ، الذى اشترط ان يتعلم الطالب الهندسة قبل ان يتعلم الفلسفة . والعلة فى ذلك ان الرياضيات علوم يقينية ، مضبوطة ، مستمدة من العقل ذاته لا من الخارج . واساسها البديهيات الفطرية فى العقل ، والتى لا تحتاج الى برهان ، وانما يكفى مجرد تصورها للاعتقاد فيها . مثال ذلك بديهية المساواة وبديهية الكبر والصغر ، اى ان الاشياء المساوية لشىء واحد متساوية ، وان الكل اعظم من الجزء . وقد بيّن افلاطون فى محاوراته ان الخادم الذى لم يتلق اى تعليم يستطيع ان يدرك هذه الحقائق البديهية من ذاته ، مما يدل على انها مفطورة فى العقل . وقد استمر هذا التيار الذى يعتقد فى فطرية البديهيات الرياضية منـذ زمان افلاطون حتى ديكارت وكانط ورسل فى الوقت الحاضر .

ولكن فى نفس الوقت الذى ظهر فيه هذا التيار الرياضى عند فيثاغورس ، ظهر ايضا تيار آخر يفسر العالم تفسيرا طبيعيا ، اما بمادة واحدة كما كانت الحال عند طاليس ، او انكسمندريس ، او انكسمانس . وقد انتهى الامر بهذا التيار الطبيعى عند ارسطو الى تفسير الموجودات بانها مركبة من هيولى وصورة ، الى جانب رد العناصر الى اربع اساسية هى النار والهواء والماء والارض . وقد سيطر التفسير الارسطاليسى على العالم حول عشرين قرنا من الزمان ، الى ان عاد العالم مرة اخرى الى التفسير الرياضى للموجودات ، لا على نحو ما كانت تفسر قديما بل بمعادلات رياضية .

ان الذى وجه الدراسات هذا التوجيه الرياضى هو فيثاغورس ، ولذلك لم يكن من الغريب ان يقول برتراند رسل فى كتابه تاريخ الفلسفة الغربية : « انى لا ارى شخصا غير فيثاغورس كان له اثر يماثله فى عالم الفكر ، لان ما يبدو لنا افلاطونيا نجده فى جوهره عند التحليل فيثاغوريا » .

الأكاديمية

اشهر مدرسة فلسفية فى التاريخ القديم ، واطولها عمراً ، فقد انشئت فى اثينا زمان افلاطون فى القرن الرابع قبل الميلاد ، وظلت تقوم بتدريس الفلسفة حتى النصف الاول من القرن السادس بعد الميلاد ، عندما اغلق الامبراطور جستنيان ابوابها . ومع ذلك لم تمت باغلاقها ، بل استمرت تعيش بعد أن هاجر فلاسفتها اثينا ، وذهبوا الى فارس حيث رحب بهم كسرى انو شروان ، وانزلهم فى مدينة جنديسابور .

ولا تزال الاكاديمية حية باسمها فى جميع اللغات ، فالاكاديمية عنوان على نوع خاص من معاهد البحث العالى ، وهى تطلق فى الاغلب على العلوم اكثر مما تطلق على الفنون والآداب . والصفة من الاكاديمية ، اى الاكاديمى ، تدل على المفكر المتعمق فى البحث مع الجدة والاصالة .

وقد تيسر للاكاديمية هذا الاستمرار المتصل على مر الزمان بفضل النظام المحكم الذى وضعه لها مؤسسها افلاطون .

فقد كانت هناك قبل انشاء الأكاديمية مدارس فى اليونان ، كما كانت هناك مدارس فى الشرق القديم . وقد أشرنا الى الفيثاغورية التى ظهرت قبل ذلك بقرنين من الزمان ، كما اشرنا الى مدارس الطبيعيين . وفى القرن الخامس ظهرت مدارس السفسطائيين وكانت تلك المدارس تؤدى وظيفة معينة هى تعليم الخطابة والبيان ، فكانت بذلك تعد اليونانيين لتولى الوظائف العامة التى ظهرت مع ظهور الديمقراطية .

ان المدارس لم تكن تظهر الا لحاجة ماسة ، فهى تخرج الحكام والساسة اذ كانت مشكلة الحكم هى الشغل الشاغل للأذهان . أو انها تعد الطلاب لشغل وظائف الكهنة وخدمة المعابد وذلك بفهم اسرار الدين ، ومعرفة مراميه ، ووظيفته فى خدمة المجتمع . او انها تعد الطلاب لأمور الدنيا من معرفة بالحساب والتجارة والاقتصاد وغير ذلك . ولكن مدارس السفسطائيين كانت مختلفة فى وظيفتها عن هذه الاتجاهات الثلاثة ، ولم تكن تعلم الحق بمقدار ما كانت تعلم التغلب على الخصوم . ومن اجل ذلك نهض أفلاطون ينشىء الاكاديمية يعارض بها تعليم السفسطائيين .

ومن الغريب ان سقراط الذى لم يؤثر عنه انه كان صاحب مدرسة قد صوره أرستوفان الشاعر الهزلى المشهور فى تمثيلية السحب صاحب مدرسة يعلم الشباب

الجدل بالحق وبالباطل ، ولكن هذا التصوير الكاريكاتورى لا يتفق مع الحقيقة ، لأن سقراط أفنى حياته يطلب الحق ولا يرضى بالباطل ، وقـــدم للمحاكمة لاتهامه بافســـاد الشباب ، اى انه كان يزعزع عقائدهم فى القيم السائدة .

فلما أعدم سقراط ، حزن عليه تلميذه أفلاطون حزنا شديدا ، وسخط على الديمقراطية التى كان يعدها مسئولة عن محاكمته والحكم عليه ، ثم رحل أفلاطون عن أثينا ، وطاف بكثير من بلاد الشمس ليلتقى بزملائه الفلاسفة . ذهب الى ميجارا ومكث عند أوقليدس الميجارى زمنا . ورحل الى مصر حيث التقى بكهنتهـــا ودرس النظم المصرية فى الدين والتعليم والحكم والفنون ، وأعجب بثبات هذه النظم .

فلما قضى فى مصر وطره رحل غربا فى شمال افريقيا الى مدينة « قورينا » وهى مدينة انشأها اليونانيون فى الجبل على مقربة من البحر . وفى القرن السادس بعد الميلاد خربتها الزلازل ، واندثرت حضـــارتها ودفنت تحت الانقاض ، ثم كشف حديثا عن آثارها كاملة ، ولكنا لا ندرى أين كانت تقع المدرسة القورينائية . وقد ذهب أفلاطون ليلقى هنـــاك ثيودورس الرياضى ويتذاكر واياه العلم الرياضى .

ثم توجه بعد ذلك الى تارنتوم بجنوب ايطاليا ، وكانت معقل الفيثاغوريين حيث التقى بزعيم المدرسة ارخيتاس الرياضى المشهور . جمع ارخيتاس بين العلم الرياضى ، والفلسفة ، والسياسة ، كما كان قائدا مظفرا ، وقد انتخبه

أهل مدينته حاكما عليهم ، فكان بذلك الحاكم الفليسوف الذى لعبت صورته فى خيال افلاطون وراى فى هذه الصورة النموذج لرئيس المدينة الفاضلة .

ولم يلبث افلاطون ان اتجه الى صقلية واتصل فى سراقوسة بديون شقيق زوجة ديونيسوس طاغية سراقوسة . وغضب ديونيسوس على افلاطون بسبب انتقاد الفيلسوف لسياسته ، فأمر به ان يباع فى أسواق العبيد ، وبيع فعلا فى ايجينا بثلاثين ميناى ، وافتداه تلاميذه ، وفكوا اسره ، وعاد الى أثينا سنة ٣٨٧ قبل الميلاد ، وقد بلغ الأربعين من العمر ، فبادر بانشاء الاكاديمية .

اختار للمدرسة مكانا خارج أسوار اثينا على مقربة من بابها الغربى ، وهو عبارة عن بستان كان ملكا للبطل « اكاديموس » ، الذى ينسب اليه المكان فقيل اكاديمية . وكان يؤدى الى هذا البستان طريق يحف به من الجانبين تماثيل عظماء اليونان ، ومنهم بركليس . وكان ذلك المكان اثيرا عند سقراط لنضرة زرعه ، وصفاء مائه ، وكثرة جداوله ، وقد وصفه افلاطون فى افتتاح محاورة « فيدروس » حيث ذهب سقراط وتلميذه فيدروس وكلاهما حافى القدمين يخوضان فى ماء الجدول ، ثم جلسا على الأرض فى ظل شجرة باسقة . والى جانب ذلك كان المكان مقدسا ، وهب للالاهة « اثينا » ، واقيم فيه معبد لتمجيدها تحيط به أحراج شجر الزيتون ، الذى كان

يمنح زيته للفائزين فى اعياد « الباناثيناى » اكبر اعياد اثينا . هذا فضلا عن ملعب رياضى انشأه قائد اثينا المسمى قيمون فى أوائل القرن الخامس . فى هذا المكان المقدس ، أو هذه الضاحية البديعة اشترى افلاطون البستان وقطعة الارض التى اقيم عليها بناء المدرسة . ولسنا نعرف على التحقيق على اى هيئة كان مبنى المدرسة ، واكبر الظن انها كانت تشمل معبداً لربات الفنون ، وحجرات للأساتذة والطلبة ، وقاعات للاجتماعات ، والاستماع الى المحاضرات ، وتناول الطعام مشتركين معا . وقد جرت العادة فى ايام الصيف ان يستمع الطلبة للمحاضرات فى « مماشى » البستان ، او فى ظل الرواق . وهذه العادة مع انها كانت عامة فى بعظم المدارس الفلسفية فى ذلك الحين ، نعنى ان يتلقى الطلبة الدرس وهم يمشون حول الأستاذ ، الا ان المدرسة التى اختصت باسم المشائين هى مدرسة ارسطو دون غيرها من المدارس .

وكانت المدرسة اشبه بفرقة دينية ، فيها المعبد الموهوب لربات الفنون ، والذى كان الطلبة يقدمون اليها الاضحية فى اوقات معلومة ، وبخاصة لهرمس اله الحكمة . وكانت المعيشة بين اعضاء المدرسة ـ رئيسا وطلبة ـ مشتركة فى الملبس ، والمأكل ، والنوم ، وبعض لوازم اختصت بها المدرسة مثل طريقة تصفيف الشعر ، واتخاذ قلنسوات فوق الراس ، والاتكاء على العصا .

كان افلاطون صاحب المدرسة ، ومالك الارض والبناء ، وهو الرئيس . وقد وضع للمدرسة نظاماً للرياسة بعد وفاته ، هو نظام التعيين بالوصية . غير ان الرياسة اصبحت تتم فيما بعد بالانتخاب السرى من جميع أعضاء المدرسة .

ولم يكن افلاطون ـ على عكس السفسطائيين ـ يتناول اجرا على التعليم ، فقد كانت هناك مدارس فى اثينا تتقاضى اجوراً فادحة مثل مدرسة « ايسقراط » التى كانت تعلم الخطابة بوجه خاص . وقد امتنع افلاطون عن اخذ الأجر على التعليم اتباعاً لسنة سقراط الذى كان يرى ان المعرفة لا تعلم بل تنكشف للانسان من باطن النفس ، او ان العلم تذكر والجهل نسيان بحسب عبارته المشهورة ، فكيف يتقاضى المعلم اجراً على شىء لا يملكه ولا يمنحه . واذا كان سقراط على فقره لم يؤثر عنه تناول الاجر ، فمن باب أولى يمتنع افلاطون سليل الأرستقراطية والثراء . وفضلا عن ذلك فان « ديون » دفع مبلغا كبيرا هو الذى اشترى به افلاطون الارض والبستان ، وكان الأغنياء يمنحون المدرسة هبات سخية ، كما كان الطلبة الاثرياء يعينون المدرسة ، كل على قدر استعداده .

وحيث كانت طبيعة الدراسة تعتمد على الحوار والمناقشة ، فلم يكن من المهم ان تتم الدراسة داخل قاعات مجهزة بأدوات ، وبخاصة الادوات والأجهزة العلمية ، التى يحتاج اليها كل من الأستاذ والتلميذ لتوضيح بحثه . كان

المحاضر فى الأكاديمية يجلس فوق كرسى عال فى الرواق ، ويجلس حوله التلاميذ على ارائك من الحجر . وايضا فقد كان من المألوف ان يحاضر الأستاذ وهو يمشى وحوله تلاميذه . ولم يؤثر عن افلاطون انه كان يحاضر من كتاب ، او حتى من مذكرات مدونة . ولكن بعض تلاميذه كانوا يقيدون عنه بعض المذكرات وبخاصة محاضراته « فى الخير ». ومن طريف ما يُروى ان احد التلاميذ ذهب يستمع عن افلاطون هذه المحاضرات التى ذاع صيتها عن الخير ، فاصيب بخيبة أمل شديدة لانه سمع محاضرات فى الهندسة والفلك .

والثابت ان افلاطون كان يرى أن الفلسفة لا تدوّن ، وقد تأثر فى ذلك بأستاذه سقراط الذى انفق حياته يناقش ويحاور ، ولم يخلف شيئا مدونا . حقا ظهر قبل افلاطون وقبل سقراط جماعة من الفلاسفة دونوا فلسفتهم فى كتب ، وكانت تلك الكتب متداولة وبعضها يباع بثمن زهيد ، وكان بعض تلك الكتب منظوماً فى قصائد مثل فلسفة بارمنيدس او انبادقليس . ولكن افلاطون اختلف عنهم ، لأن الحكمة الصحيحة لا تدون . وقد كتب فى الخطاب السابع الى ديون ما نصه : « ان حقائق الفلسفة لا يمكن التعبير عنها بالالفاظ كما يمكن فى غيرها من الموضوعات : ذلك انه بعد أن يتلقى المرء المعرفة من مرشد صادق فى هذه الدراسات الفلسفية ، وبعد الانقطاع بعض الوقت الى صحبة ذلك المرشد ، اذا ببريق من الفهم يضيء النفس .... ولست اعتقد أن الكتب

المؤلفة فى هذا الباب تفيد الناس اية فائدة ، اللهم الا بالنسبة لعدد قليل ممن يستطيع ان يكشف الحق بنفسه » . والسبب الحقيقى الذى من اجله رفض افلاطون كما رفض سقراط من قبل تدوين الفلسفة هو ان وظيفتها احياء النفوس وصقلها وتزكيتها لتكشف الحقائق بنفسها من ذات نفسها ، لا ان تاخذ الحقائق عن الفلاسفة ، وان تتلقنها وتحفظها وترددها ، كما اصبحت فى العصر المدرسى فجمدت وماتت .

ولكن وصية افلاطون لم تنفذ حرفيا ، فان بعض تلاميذه وبخاصة ارسطو روى لنا آراء استاذه ، لا على سبيل الرواية التاريخية ، بل ساقها فى معرض النقد ، كما فعل فى كتاب ما بعد الطبيعة حين صور آراء افلاطون فى ان المثل اعداد ، ثم نقدها . ومع ذلك فان الاعتماد على ارسطو فى معرفة راى افلاطون خطر ولا يؤمن ، كما انه من الخطورة الاعتماد على افلاطون فى معرفة آراء سقراط .

فنحن نعرف ان افلاطون كتب عدة محاورات بقى منها ثمان وعشرون واحدة من اهمها الجمهورية والنواميس ، واجرى فيها الحوار على لسان سقراط مما يجعل المرء يعتقد أن ما ورد فى هذه المحاورات انما هو آراء سقراط لا افلاطون . والحق فى ذلك ان بعض المحاورات يصور افكار سقراط ، وهى المحاورات السقراطية ، وبعضها الاخر يصور آراء افلاطون ، والمؤرخون مختلفون فى تحديد هذا

النوع أو ذاك . هذه المحاورات ، سواء منها السقراطية أم الافلاطونية ، خاطب بها افلاطون الجمهور الواسع وليس خاصة تلاميذه . وقد لقيت المحاورات نجاحا منقطع النظير ، وكان الناس يقرءونها بصوت عال ، وكانت تمثل على خشبة المسرح زمان شيشرون . ومع أن افلاطون حذر طلابه من تدوين الفلسفة ، واعلن صراحة أن هذه المحاورات لا تعبر عن آرائه الفلسفية ، الا أن المتأخرين اعتمدوا عليها فى معرفة فلسفته ، وبخاصة فى نظرية المثل . وكانت المحاورات ، أو على الأقل بعضها ، مثل فيدون ، وطيماوس ، والجمهورية ، تدرس فى الأكاديمية حتى زمانها المتأخر ، ويتولى الأساتذة شرحها . وكان الطلبة الذين يرحلون الى اثينا لتعلم الفلسفة يجدون بغيتهم فى هذه المحاورات وشروحها . ففى القرن الثالث بعد الميلاد نجد فرفريوس الصورى يحضر بعض الوقت على لونجينوس فى اثينا شروحه على محاورات أفلاطون .

ليس معنى ذلك أن المحاورات لم تكن فى زمان افلاطون ، ووقت كتابته لها ، تدرس فى الأكاديمية . كانت متداولة ، ولكنها لم تكن أساس التدريس . كان الطلبة يطلعون عليها كأى فرد من افراد الجمهور . ولعلهم كانوا ينتقدون الأفكار التى عرضها استاذهم فيها ، ولذلك تعاقبت المحاورات ، يعدل اللاحق منها السابق ، وتطورت آراؤه بفضل حرية النقد والمناقشة . وكان النقد جريئا مرا لا يرحم ، اطلعنا

ارسطو الذى كان تلميذا بالاكاديمية على طرف منه ، وارسطو هو القائل فى كتاب الاخلاق : احب افلاطون واحب الحق ولكن حبى للحق اعظم . انه يعترف بصداقته لاستاذه ، ومحبته له ، ولكنه لا يتنازل عن التمسك بالحق فى سبيل الصداقة .

ولما كان الغرض الاساسى من انشاء الاكاديمية تخريج طائفة من الحكام والساسة ، فمن الطبيعى ان تكون دراسة الشرائع واصولها وانظمة الحكم الصالح هى التى تكون منهج الدراسة . ولهذا السبب لجأ اليها اهل المدن المجاورة يطلبون رأيها فى التشريع ، كما فعل ايبامنونداس عندما طلب تشريعا لمدينة ميجالوبوليس . والى جانب ذلك كانت الاكاديمية تدرس العلوم الرياضية من حساب وهندسة وفلك وموسيقى . وقد مر بنا كيف كان يتوقع الذين حضروا دروسه فى « الخير » ان يسمعوا شيئا عن الفضائل ، فاذا بهم لا يسمعون الا فلكا وحسابا وكلاما عن الواحد والمحدود وغير ذلك من الامور الرياضية . ذلك ان الرياضة كانت عند افلاطون مدخلا لا غنى عنه الى الفلسفة ، ولذلك كتب على باب الاكاديمية العبارة المشهورة : « من لم يكن مهندسا فلا يدخل علينا » . ومن الفروض الفلكية التى كانت سائدة فى المدرسة انتظام حركة الاجرام السماوية ، وعلى اساس هذا الفرض كان علماء الاكاديمية يفسرون تحير الكواكب .

من اولئك العلماء الذين عاونوا افلاطون ، وكانوا سبب شهرة الاكاديمية رياضيا ؟ من الصعب معرفة اسمائهم واحدا واحدا . ثم ان التلاميذ بالنسبة لاستاذهم لم يكونوا طلبة بمقدار ما كانوا اصحابا . ونحن نعلم ان افلاطون ذهب للقاء ثيودورس الرياضي ، وارخيتاس الفيثاغورى ، واوقليدس الميجارى ، كل فى موطنه ، ولم يكن بالنسبة اليهم تلميذا ، كذلك كان يحضر المدرسة عند افلاطون عدد من الاصحاب يمكن ان يعدوا من علماء الاكاديمية ، منهم ثيتاتوس ، وايدوكسس ، بل يذهب بعض المؤرخين الى انهم فعلا من تلامذة افلاطون .

ولسنا نعلم عن ثيتاتوس الا النزر القليل ، ومع ذلك فقد خلد افلاطون اسمه حين جعل محاورة برأسها تحمل اسمه ، وكل ما نستفيده عن حياته من هذه المحاورة انه كان من اهل اثينا ، وانه تعلم على يدى سقراط وثيودورس القورينائى ، وانه كان معاصرا لأرخيتاس وافلاطون . ويبدو انه كان رياضيا بارعا وصاحب كشوف جديدة فى هذا العلم العجيب ، مما حدا بأفلاطون الى ان يخلد اسمه . والمشهور ان هذه المحاورة تبحث فى نظرية المعرفة وكيفية اكتسابها ، امن الحس ام من العقل . ولكن ثيتاتوس الى جانب ذلك ، بل قبل ان يكون فيلسوفا ، فهو رياضى له راى فى الاعداد الصماء ، والكميات الصماء — اى التى لا تخضع للقياس — وراى فى المجسمات المنتظمة .

اما « يودكسس » فاصله من كنيدوس ، تعلم الهندسة على يد ارخيتاس ، ثم رحل الى اثينا وهو فى الثالثة والعشرين من العمر بعد افتتاح الاكاديمية بعامين (افتتحت الاكاديمية ٣٨٧ ق.م) . وكان فى صباه شديد الفقر ، ولكنه اكتسب ثروة كبيرة من التعليم ، بعد ان ذهب الى مصر وظفر بشهرة واسعة فى الفلسفة والرياضة والفلك . وقد طلع بنظرية جديدة فى التناسب ، واكتشف « القطاع الذهبى » ، اى « اجمل » قسمة لخط او كمية ، قسمة ذات وسط وطرفين . ويمكن القول انه انشأ علم الفلك مفسرا حركات الكواكب بنظرية كرات تدور على محاورها ، ومتحدة المركز .

ليس معنى ذلك ان هذين الاثنين هما وحدهما العالمان اللذان تخرجا فى الاكاديمية ، فهناك اسماء تتردد ايضا ، منها ليوداماس ، ونيقوليدس ، وليون . وهؤلاء الثلاثة كان لهم اثر فى تقدم الهندسة وتنظيم دراستها ، وزيادة نظرياتها ، وترتيبها ترتيبا علميا ، فكانوا بذلك اصحاب الفضل فى التمهيد لظهور اقليدس صاحب الهندسة .

ومن الطبيعى ان يكون منهج البحث ملائما للعلوم الرياضية التى اشتهرت بها الاكاديمية . وقد بدات المناهج تتميز بوضوح منذ سقراط الذى اشتهر بمنهج : « التهكم والتوليد » . والمنهج السقراطى يعتمد اساسا على الحوار ، لان المباحث التى خاض فيها هى العلوم الانسانية من ادب

وفن ولغة وشعر ودين واخلاق واجتماع وسياسة . وقد اتبع هذا المنهج فى الاكاديمية وتصـــوره المحاورات اجمل تصوير ، وهو منهج يقوم على تعريف المعانى الكلية ، وتحديد الالفاظ ، والاستقراء .

والأصل فى المحاورة انها مناقشـــة تتم بين شخصين ـــ او اكثر ـــ وتسمى باللغة اليونانية «ديالوج» من المقطعين « ديا » و « لوجوس » اى الكلام أو القول بين اثنين . وقد تطور الحوار عند سقراط الى « الجدل » عند افلاطون وهو يعنى باليونانيـــة « ديالكتيك » من المقطعين « ديا و « لكتيكون » اى كلام او حديث . والفرق بين الديالوج والديالكتيك أن الحوار حديث بين شخصين ، والجدل حديث بين الشخص نفســه ، فهو تفكير يدور داخل النفس ، ومنه عند افلاطون جدل صاعد ومنه جدل نازل . والجدل بهذا المعنى هو المنهج الفلسفى بلا منازع ، لأن النفس تصعد الى المثل اى الحقائق ، ثم تنزل من عالم المثل الى عالم الحس ، وتهبط من عالم الثبات الى عالم التغير .

اما المنهج الملائم للرياضيات فهو التحليل والقسمة . ويقال ان افلاطون هو الذى اخترع طريقة التحليل ، ثم وهب المنهج الى تلميذه ليوداماس . والتحليل باليونانية « اناليوسيس » (Analysis)، وهو الذى اصبح فيما بعد اساس المنطق الارســـطى فى كتابيه الرئيسيين انا لوطيقا الاولى وانا لوطيقا الثانية ، اى القياس والبرهان . خذ مثالا

لذلك فكرة « المساواة » وكيف يحللها فى محاورة « فيدون » من النظر الى قطع متساوية من الخشب . ويقول بروقلس فى تعليقه على الكتاب الأول لأوقليدس عن ليوداماس : « ان أفلاطون شرح له طريقة التحليل فكانت عونا له فى الكشف عن امور هندسية كثيرة » .

ولقد اشتهرت الأكاديمية باستخدام منهج القسمة ، وبخاصة القسمة الثنائية . وفى محاورة السفسطائى نموذج لهذا المنهج . والقسمة مفيدة فى التصنيف والتعريف . تدور محاورة السفسطائى بين ثيودورس القورينائى ، وثيتاتوس الرياضى ، وسقراط ، وشخص رابع من ايليا . وقد حاول المتحاورون — وهم كما نرى رياضيون — تحديد معانى السفسطائى ، والسياسى ، والفيلسوف . فالسفسطائى يعالج فنا من الفنون ، والفنون اما أن تكتسب واما أن تبتدع .

والفنون المكتسبة اما أن تكون بالتعلم أو المحاكاة ، وهى كالتجارة ، والحرب ، والصيد .

والصيد انواع ، منه اقتناص الاحياء ، ومنه اقتناص غير الحى .

وصيد الاحياء انواع ، مثل صيد السمك فى البحار ، والطيور فى الهواء ، والدواب على ظهر الأرض . وذلك بضروب مختلفة من الشباك والفخاخ والصنانير . والسفسطائى صائد ، وفنه مكتسب ، وصناعته اقتناص

الناس من ذوى الحسب والمال ، يقـــدم لهم -ما مقـابل ما يأخذه من اجر .

فهذا نموذج للقـسمة الثنائية ، ومنهج القـسمة وفائدته فى التعريف والتصنيف .

ولم تكن الأكاديمية مقصـــورة فى ابحاثها على العلوم الرياضـــية فقط ، بل كانت تبحث أيضا فى علوم الحياة . ولكن اتجاه المدرسة بوجه عام كان نحو الرياضيات . وقد احتفظ احد شعراء الكوميديا بصورة تحكى ما كان يجرى فى الاكاديمية من بحث فى النبات . قال افكراتس شـــاعر الكوميديا فى تمثيليته التى يدور فيها الحـــوار على النحو التالى :

« اخبرنى عن افلاطون ، وسبيسيبوس ، وميندیوس ماذا يعملون الآن ؟ اى فكرة عميقـــة يبحثونها واى جدل شديد يدور بينهم ؟

— انى اعرف كل شىء وساخبرك ببساطة . فى عيد البنائيناى رايت جماعة من الشباب فى ملعب الاكاديمية ، وهناك سمعت امورا بعيدة عن التصديق . كانوا يعرّفون ويقسمون العالم الطبيعى ، ويميزون عادات الحيوان وطبائع الشجر وانواع الخضر ، ورايت معهم « يقطينـــا » كانوا يبحثون من أى نوع هو .

— وهل قرروا اى نبات هو ، ومن اى نوع ؟ اخبرنى ان كنت تعرف .

ـ حسنا ! لقد ظلوا جميعا أول الامر صامتين ، وانحنوا فوقها بعض الوقت يتأملونها . وفجأة وهم ما زالوا يفحصونها قال احد التلاميذ انها خضر مستديرة ، وقال آخر انها حشيش ، وثالث انها شجرة . فلما سمع طبيب صقلى كان موجودا هناك ذلك الحديث انفجر ساخطا على الهراء الذى ينطقون به .

ـ احسب انهم لابد غضبوا غضبا شديدا وصاحوا فى وجهه ، اذ من الفظاظة ان يفعل ذلك فى وسط الحديث .

ـ ثم احفل بالتلاميذ ، ولكن افلاطون الذى كان موجودا ،خبرهم فى عطف شديد وبغير انزعاج أن يحاولوا من البدء تعريف نوعها . ثم مضوا فى تعريفاتهم » .

ويتضح من النص السابق ان الاكاديمية كانت تبحث فى علوم الحياة . ثم ان سبيسيبوس ابن اخت افلاطون ، وخليفته فى رياسة المدرسة ، كتب فيما بعد مؤلفات فى الحيوان والنبات بقى منها اجزاء تبحث فى الاسفنج والمحار . وليس بعيدا ان الاكاديمية زمان افلاطون كانت مجهزة بالأدوات العلمية والخرائط ، ولا نزاع انها كانت مجهزة بالكتب . ولكن يمكن القول ان الأكاديمية اتجهت على العموم وجهة رياضية ، على حين اتخذت مدرسة ارسطو ـ وهى اللوقيون ـ طابعا بيولوجيا طبيعيا .

***

يتضح مما سبق أن الأكاديمية اهتمت ببحث سائر العلوم والمعارف ، ولكنها قدمت بعضها على بعضها الآخر بحسب اتجاهها فى الفلسفة . ويمكن تقسيم العلوم بحسب أهميتها أربعة أقسام هى الفلسفة ، ثم العلوم الانسانية من سياسة وأخلاق ونفس واجتماع ، ثم العلوم الرياضية من حساب وهندسة وفلك وموسيقى ، ثم العلوم الطبيعية وعلوم الحياة . والفلسفة تاج هذه العلوم كلها ، وهى الغاية التى ينتهى اليها الطالب بعد أن يتبحر فى العلوم وبخاصة الرياضيات . وتجتمع فلسفة أفلاطون فى كلمة واحدة هو « المثل » ، وأفلاطون هو الذى ابتدع الفلسفة المثالية . ولا تزال المثاليات حتى اليوم تعتمد فى نزعتها عليه .

المثل عند أفلاطون هى النماذج الثابتة الأزلية التى بها يفسر وجود الموجودات ومعرفتها . ولقد كانت المشكلة التى واجهها مفكرو الاغريق والتمسوا لها الحل هى أصل هذه الموجودات الكائنة ، والتى تظهر الى الوجود ثم تولى عنه . أى تفسير التغير والكثرة ، أهذه الكثرة حقيقية أم انها ترتد الى شىء واحد ، وهل هذا التغير الذى نشاهده حقيقى أم انه مظهر فقط يخفى وراء ثباتا . واختلفت وجهات نظر الفلاسفة اليونانيين اختلافا كبيرا منذ القرن السادس ، بعضهم يقول بمبدأ واحد مادى ، كالماء ، أو الهواء ، أو النار ، وبعضهم الآخر يذهب الى القول بالعناصر الأربعة مثل انبادقليس ، وبعضهم الثالث يقول بالذرات مثل

ديمقريطس ومدرسته . هذا الى الفيثاغوريين الذين فسروا الموجود بالمبدأ الرياضى ، وبالشكل الهندسى . ثم ظهر بارمنيدس فى ايليا بجنوب ايطاليا فقرر أن « الوجود موجود » ، وانه واحد ، وانه ثابت ، وهذا هو طريق الحق . اما اذا سار الانسان فى طريق « الظن » فانه يرى الموجود كثيرا ، ومتغيرا .

والمثال الافلاطونى جمع بين الواحد الفيثاغورى ، وبين الواحد البارمينيدى .

المثال الثابت الواحد هو اصل الموجودات المحسوسة المتغيرة .

هذا هو الحل السعيد الذى اهتدى اليه افلاطون لتفسير وجود الموجودات الكثيرة المتغيرة فى عالم الحس .

ولكنه فطن الى عجز هذه النظرية وقصورها عن توضيح كثير من المشكلات التى تعرض للذهن . وقد انتقد افلاطون نفسه ، وراجع فكره ، كما يتضح من محاورة بارمنيدس . وتساءل عن اصل المحسوسات : اهى « تشارك » فى المثال ، أم هى « محاكاة » للمثال . والمشاركة تفترض أن يكون المثال كلا ، وان يكون كل واحد من المحسوسات جزءاً من هذا الكل . والمحاكاة تذهب الى ان المثال أصل ثم تتعدد المحسوسات عنه كما تتكثر الصور فى المرايا . وعندما نقلت الفلسفة اليونانية الى العرب ، أعجب الغزالى بنظرية المحاكاة وتشبيه النفس بالمرآة التى

تنعكس على صور المثل ، فاصطنع هذه النظرية فى كثير من كتبه .

والمثال لانه معقـول فلا مادة فيه ، والمحسوس لانه مجسم مشخص فانه مادى . فكيف نشأ المحسوس المادى من المعقول اللامادى ؟ هذه هى جوهر المشكلة التى اضطر ارسطو ـ تلميذ افلاطون ـ الى حلها بقوله ان المحسوس مركب من مبدأين الهيولى والصـورة ، والقول بأن العالم مادى . وليس معنى ذلك ان فلسفة ارسطو مادية ، بل تدل على تسليمه بوجود المادة الى جانب الصورة .

وتتدرج المثل عند افلاطون حتى تقف عند ثلاثة هى الحق والخير والجمال . ولا تزال هذه القسمة الثلاثية دارجة مألوفة حتى اليوم .

***

طال عمر الاكاديمية تسعة قرون ، اذ انشئت ٣٢٧ ق.م ، فى اثينا ، واغلق الامبراطـور جستنيان ابوابها ٥٢٩ بعد الميلاد . وتقلبت فى اثناء عمرها المديد فى عدة اطوار هى الاكاديمية القديمة والوسطى والحـديثة ، ثم الاكاديمية بعد الميلاد . والتقسيم المذكور يرجع الى مؤرخى الفلسفة من المحدثين ، وهو مصطنع بعض الشىء ، اذ الحق فى ذلك ان الطابع الذى يسود المدرسة فى زمن معين انما يرجع الى شخصية رئيسها وتوجيهه .

تولى رياسة المدرسة بعد موت افلاطون اسبيسيبوس ابن اخته ، الذى اتم تنظيم المدرسة فى شكلها الاخير . واستمر رئيسا من ٣٤٧ (اى بعد موت افلاطون) الى ٣٣٩ . وخلفه زينوقراط ٣٣٩ ــ ٣١٥ ، ثم بوليمون ٣١٥ ــ ٢٧٠ ، ثم اقراطس بعد ٢٧٠ ، وينتهى معه طور الاكاديمية القديمة ، التى امتازت بالسير فى الطريق الذى رسمه افلاطون . وقد لمعت فى تلك الفترة اسماء كثير من العلماء والفلاسفة ، نذكر منهم يودقسس ، وهرقليدس ، وغيرهما . ويقال ان كرانتور تلميذ بوليمون هو اول من وضع شروحا لمحاورات افلاطون .

ثم تحولت الاكاديمية الى نزعة الشك ، بدات مع الرئيس ارقليساوس ، الذى يعد منشىء الاكاديمية الوسطى ، ثم اصبح هذا الاتجاه واضحا قويا على يد كارنيادس ، وتسمى الاكاديمية فى عهده (٢١٣ ــ ١٢٩) بالاكاديمية الثالثة . وقد ارسله الاثينيون فى سفارة الى روما ونجح فى مهمته .

واكاديمية رابعة تحت رياسة فيلون من اهل لاريسا ، وقد وجهها وجهة رواقية . واكاديمية خامسة برياسة انطيوخس العسقلانى (توفى ٦٨ ق.م) الذى وفق بين الافلاطونية والارسطية والرواقية ، وتسمى هذه الاكاديمية الخامسة عادة بالاكاديمية الجديدة . ويمكن القول ان كارنياس وفيلون وانطيوخس كان لهم الفضل فى نشر تعاليم

الاكاديمية بعد انتقالها الى جنديسابور محتفظة بهذه التعاليم بفيلون وانطيوخس واستمع اليها .

ومما يروى أن سللا عندما حاصر اثينا سنة ٨٦ ق.م احتاج الى خشب فقطع اشجار الاكاديمية ، التى انتقلت منذ ذلك الحين داخل اسوار اثينا . ومهما يكن من شيء فان تاريخ الاكاديمية حتى القرن الخامس بعد الميلاد غامض . وكل ما نعرفه انها ازدهرت فى القرن الخامس ، وتجددت ، واصبحت مركزا للأفلاطونية المحدثة ، المتاثرة بالفلسفة الاسكندرانية . وقد لمعت فى هذه الفترة اسماء مشهورة بوجه خاص فى الفلسفة العربية ، منهم بروقلس ، وفلوطارخس ، وسوريانس ، ودومنيونس ، وماريانوس ، وايزودورس ، والدمشقى الذى كان آخر رئيس للمدرسة اى من ٥١٠ الى ٥٢٩ بعد الميلاد .

ويبدو ان السبب الرئيسى فى اغلاق الاكاديمية ـ وكذلك اللوقيون ـ انها كانت مهد التعاليم الوثنية . وكانت المسيحية قد تغلبت وسادت ، وارادت ان تقضى على كل اثر للوثنية . وقد آثر فلاسفة الاكاديمية ان يهجروا المدرسة الى مكان آخر يمارسون فيه تعاليمهم بحرية ، ورحب بهم كسرى انو شروان ، وانزلهم فى جنديسابور ، وترك لهم حرية البحث ، فنقلوا معهم الفلسفة والعلوم والطب . وظلت الاكاديمية فى العالم الرومانى ، وبخاصة ان شيشرون التقى الى ان انتقلت الى بغداد زمان العباسيين ونقلت علومهم

وفلسفتهم الى اللغة العربيـــة . وهكذا نرى أن المدرسة الأصلية زالت من اثينا ، وتغـير مكانها ، وكذلك لغتها ، ولكن تعـاليمها لم تمت ، وظلت الأكاديمية حية بأفـكارها وفلسـفتها ، وقد عادت تعاليمها المثالية وفلسفتها الرياضية الى الظهور مرة اخرى فى الوقت الحاضر ، معـدلة بطبيعة الحال مع مقتضيات العصر والتطور الكبير الذى حدث خلال عشرين قرنا من الزمان .

المسألة

« اللوقيون او الليســـيه »

مدارس « الليسيه » معروفة بهذا الاسم ومشهورة فى مصر ، وهى تلك المدارس التى تعلم الطلبـــة حتى يظفروا باجازة البكالوريا ، اى المرحلة السابقة مباشرة على التعليم الجامعى . وهذا النوع من التعليم فى الليســيه منتشر فى فرنسا ، وعنها اخذنا هذا اللون من المدارس .

والليسية « Lycée » هى الاسم الفرنسى الذى اصبح يطلق على الاسم اليونانى Lyceum ، او الاصح بالرسم اليونانى Lykeum وقد عربها القدماء فقالوا «اللوقيون» وهى المدرسة التى انشاها ارسطو فى اثينا ، وكان يمارس التعليم فيها ، واصـــبحت تنافس الاكاديميـــة والمدارس الاخرى اليونانية . ومدرسة ارسطو مدرسة فلسفية عليا ، وليست ثانوية كالليسيه حديثا ، ولذلك ينبغى عدم الخلط بينهما ، والاعتقاد بان الليسيه الحاضرة هى اللوقيون قديما او استمرار لها .

وتعرف مدرسة ارسطو باسم آخر ، وبخاصـــة عند

العرب ، هى مدرسة المشائين ، لأن المعلم وتلاميذه كانوا يتعلمون وهم يمشون . وسبق ان ذكرنا ان هذه السنّة لم تكن مقصورة على الطلبة فى مدرسة ارسطو فقط ، بل كانت شائعة فى جميع المدارس الفلسفية فى بلاد اليونان ، وذلك لطبيعة الجو الحار الذى يسود اثينا معظم أوقات السنة ، فكان الطلبة اما ان يسيروا فى المماشى تحت ظلال الأشجار ، أو يسيروا جيئة وذهابا فى « الرواق » داخل المدرسة . مهما يكن من شيء فقد اشتهرت مدرسة ارسطو باسم المشائين .

وقد ظلت اللوقيون باقية فى اثينا تنافس الاكاديمية وتمتاز عنها بلون خاص ، الى أن اغلق الامبراطور جستنيان ابواب المدرستين . ومع ذلك فان تاريخ اللوقيون اغمض من صاحبتها ، الا أن اللوقيون — او المشائية — اشهر فى الزمن القديم . وكما يتصل انشاء الاكاديمية باسم صاحبها وفلسفته ، كذلك يتصل اللوقيون باسم منشئها ومؤسسها وصاحبها ارسطو ، فهى ثمرة غرسه ، ونتاج فلسفته . واذا كان افلاطون قد انفق اربعين عاما يشيد صرح الاكاديمية ، اذ انشاها سنة ٣٨٧ ق.م واستمر رئيسا لها الى أن توفى سنة ٣٤٧ ق.م ، فان ارسطو لم يستمر على راس مدرسته سوى اثنى عشر عاما ، لانه لم يفتتحها الا وهو فى الخمسين من عمره . ولكن لماذا ترك ارسطو الأكاديمية التى تعلم فيها وكان من ابرز تلاميذها ، وقرر أن ينشيء مدرسة أخرى ؟

والجواب عن هذا التساؤل يقتضى منا ان نشير الى سيرة ارسطو بايجاز :

ولد ارسطو ٣٨٤ ق.م بمدينة ستاجيرا من اعمال خلقيس ، ولذلك حين يقال الفيلسوف الاستاجيرى لا تنصرف هذه التسمية الا اليه ، او حتى حين يقال الاستاجيرى The Stagirite فقط . وكان ابوه نيقوماخوس من نسل اسقلبيادس طبيبا للملك امنتاس الثانى ملك مقدونيا ، الذى انجب فيليب والد الاسكندر . وكان الأطباء يورثون ابناءهم صناعتهم ، ومن هنا نشأ ارسطو على محبة العلوم الطبيعية وعلم الحياة ، وتدرب فى صباه على التشريح والجراحة . ولما بلغ الثامنة عشرة اوفد الى اثينا حيث التحق بالأكاديمية وظل فيها عشرين عاما . حقا كانت هناك عدة مدارس فلسفية فى اثينا ، ولكن الاكاديمية كانت افضلها وارقاها ، وقد تاثر ارسطو بشخصية افلاطون وتعاليمه الى الأعماق ، وانطبع بطابع لا يمحى ، على الرغم من معارضة الفيلسوف الاستاجيرى لنظرية المثل . وكان صاحب الأكاديمية يعرف فى تلميذه فضله وذكاءه ، فسماه « القرّاء » ، « والعقل » اى عقل المدرسة . وكثيرا ما يصف ارسطو نفسه فى كتبه بقوله انه احد الافلاطونيين ، أو بنص عبارته : «نحن الافلاطونيين» . مما يدل على ولائه للأكاديمية .

ويذهب بعض المؤرخين من المحدثين الى تكذيب

الروايات القديمة التى تجمع على بقاء ارسطو عشرين عاما تلميـــذا بالاكاديميـــة . وهم يرون انه اختلف الى اكثر من استاذ وبخاصة فى البلاغة مثل ايسقراط ودیموستين ، وانه كان يتردد على الاكاديمية بين حين وآخر . ولكن الذى يدحض هذا التصـــوير ان ارسطو كان يعارض مدرسة ايسقراط وكذلك مدرســـة ديموستين ، لأنهما يعلمان على طريقة الســفسطائيين التغلب على الخصم بسحر البـــلاغة ورنين الالفاظ ، لا بقوة المنطق والتفكير السديد المحكم . ومما يروى ان ارسطو كان يلقى دروسا فى الخطابة ــ وهو طالب فى الاكاديميـــة ــ على الجمهـــور ينافس بهـــا دروس ايسقراط !

ويبدو ان الطابع العام لجميع المدارس الفلســفية قديما كان واحـــدا ، فالمدرسة جمـــاعة من الباحثين والمفكرين يرتبطون بروح مشتركة ويشاركون فى آراء اساسية وفى الوقت نفســه يحتفظ كل واحد منهم باستقلاله فى البحث . وهذا الاســـتقلال يفسر لنا اتجاه ارســطو منذ كان فى الاكاديمية الى متابعة البحث فى العلم الطبيعى ، كما ذكرنا قبلا .

لم يكن ارسطو الذى سماه افلاطون القراء ، والعقل ، ليقبل أن يستمر فى الاكاديمية تحت رياسة سبيسيبوس ، الذى مضى بعد موت افلاطون يوجه المدرسة نحو الرياضة ، وأن يقلب الفلسفة ــ كما يقول ارسطو ــ الى رياضيات .

مهما يكن من شيء فلسنا ندرى الاسباب الحقيقية التى من اجلها هجر ارسطو الاكاديمية ، ورحب بدعوة زميل قديم له فى تلك المدرسة هو « هرمياس » الذى اصبح حاكم اسوس وجمع حوله حلقة صغيرة من الافلاطونيين . وبعد ثلاث سنوات ذهب الى ميتلين فى جزيرة لسبوس حيث لقى صديقه ثاوفراسطس زميله فى الاكاديمية ، وخليفته فيما بعد على رياسة اللوقيون . وترجع مباحث ارسطو ومشاهداته فى العلم الطبيعى والبيولوجى الى اقامته فى اسوس وميتلين . وفى سنة ٣٤٣ دعاه الملك فيليب لتثقيف ابنه الاسكندر ، فعلمه اليافة هوميروس ، ومبادىء الحكم . ولكن حقيقة التعليم الذى تلقاه الاسكندر من معلمه غير معروف . فلما توفى فيليب ٣٣٥ ق.م عاد ارسطو الى اثينا وانشأ اللوقيون وتلقى من تلميذه الاسكندر معونات كبيرة مالية وادبية .

. انشأ اللوقيون مدرسة فلسفية تختلف فى اتجاهها عن الأكاديمية التى عنيت بالعلوم الرياضية . كانت الاكاديمية تقع خارج اسوار اثينا فى الشمال الغربى من المدينة ، فاختار ارسطو لمدرسته موقعا فى الطرف المقابل من المدينة شرقى الأسوار ــ او الشمال الشرقى ــ على مقربة من طريق مراثون ، اكبر الظن بين جبل ليقابيتوس ونهر اليسوس ، حيث كانت تقع ايكة مقدسة موهوبة للرب ابولون لوقيوس وربات الفنون ، وكانت تلك الأيكة من الامكنة المحببة الى

سقراط وكان يرتادها كثيرا . اما لوقيوس التى منها اشتق اللوقيون ، فهو صـــفة لأبولون ، وتعنى الذئب ، أو رب النهار .

ولما كان ارســـطو اجنبيا ، اى ليس مواطنا اثينيا ، فلم يكن له الحق فى امتلاك الأرض ، ولذلك استأجر بعض الأبنية وجعلها نواة مدرسته . وفى جوار ذلك المكان كان « يتمشى » هو وتلاميذه فى المماشى ، وتحت ظل الاشجار ، ذهابا وجيئة ، ولذلك سمى اتباعه بالمشائين ، ولو ان هذا الاسلوب فى التعليم ، كما ذكرنا من قبل ، لم يكن مقصورا على أرسطو وحده ، والتعاليم المشائية هى المأخوذة عن مدرسة ارسطو .

ومما يروى ان ارسطو كان يلقى نوعين من الدروس ، صباحية لخاصـــة تلاميذه ، وتسمى « سماعيـــة » او « مستورة » ، ومسائية للجمهور الواسع وهذه اقل صعوبة من الاولى ، وتسمى علانية او « منشـــورة » Exoteric ، ليس معنى ذلك ان ارســـطو كان يضـــفى على دروسه الصباحية صفة السرية ، وانه كان يحجبها عن الجمهور ؛ كلا ، بل الأمر أن دروس الصباح كانت تهم فئة قليلة من المشتغلين بالمســـائل الفلســـفية العويصـــة ، كالمنطق ، والميتافيزيقا ، والعـــلم الطبيعى ، على حين أن الدروس الأخرى كالأخلاق والسياسة كانت تجذب اسماع الجمهور ويعجب بها ، ويقبل عليها .

واكبر الظن ان ارسطو جمع فى مدرسته بضع مئات من الكتب المخطوطة ــ ولم تكن الكتب الا مخطوطة بطبيعة الحال ــ فكانت أول مكتبة فى التاريخ ، وأصبحت نموذجا احتذت مثالها مكتبة الاسكندرية وغـــيرها من المكتبات . وكذلك اقتنى عدداً من الخرائط ومتحفا من نماذج شتى لاحجـــار ومعادن ونبـــاتات وحيوانات ، ليستعين بها على توضـــيح محاضراته . ويقال ان الاسكندر وهبه مبلغا كبيرا من المال لاقتناء هذه الأشياء ، وأمر جميع الصيادين فى الامبراطورية أن يقدموا له نماذج مما يصيدونه فى الجو أو على ظهر الأرض أو فى الماء .

ولم يكن الاسكندر وحده راعى ارسطو وحاميه ، بل كذلك « انطبطر » الذى خلف الاسكندر فى مقدونيا وصيا على العرش . ونحن لا نعلم حقيقة العلاقة التى كانت تربط بين ارسطو وانطبطر الذى لم يعرف عنه ميول نحو البحث الفلسفى ، ولكنه كان صديق أرسطو عندما عاش فى بلاط فيليب . ويكفى أن هذه الصداقة بلغت من الوثاقة حداً يجعل أرسطو ينص فى وصيته على تعيين انطبطر منفذا لها .

وهكذا لقيت اللوقيـــون التأييد من اكبر ملك عرفه التاريخ ، واخلص وصى على عرش مقدونيا ، فلا غرابة ان تبدأ المدرسة قوية الى الحد الذى تبرز فيه على الأكاديمية نفسها ، ولم يكن زينوقراط رئيسها الثالث الذى انتخب بعد موت اسبيسيبوس خليقا ان يقف فى كفة واحـــدة مع

ارسطو ، ولعل ذلك كان من جملة الاسباب التى دعته الى افتتاح مدرسة جديدة لانه انف ان يعمل تحت رياسة زينوقراط .

ونحن اذا كنا نجهل حقيقة الدروس التى كانت تلقى فى الاكاديمية ، ولا نعلم سوى الجانب الشعبى من تعاليم افلاطون فى محاوراته التى كان يخرجها للجمهور بين حين وآخر ، هذه المحاورات التى لا يزال معظمها موجوداً بين ايدينا حتى اليوم ، فان هذا الجانب الشعبى فى تعاليم ارسطو ، نعنى محاوراته الرائعة الاسلوب التى وصفها شيشرون بان اسلوبها يجرى كانه نهر من ذهب ، اضحى مفقوداً منذ فقدت هذه المحاورات بعد ان استمرت ثلاثة قرون من الزمان يقرؤها جمهور المثقفين جنبا الى جنب مع محاورات افلاطون . ولكننا لحسن الحظ نعلم تمام العلم حقيقة الدروس التى كان يلقيها ارسطو فى داخل المدرسة ، لان كتبه ابتداء من المنطق الى الميتافيزيقا لا تزال باقية ، وسنتحدث عنها فيما بعد .

ولا بد ان الابنية التى كانت تشغلها المدرسة كانت متعددة واسعة ، يتخذ بعضها لسكنى الطلبة ، وبعضها الآخر حجرات للمحاضرات ، وبعضها الثالث لحفظ الكتب والخرائط وما اشبه . واحد هذه الابنية كان معبداً لربات الفنون ـ او متحفا كما نقول اليوم **Museum** ـ ولفظ المتحف بالاجنبية نسبة الى « موزايوس » اى ربات الفن .

واقيم فى المتحف تمثال لارسطو ، يقـول ثاوفراسطس انه تمثال نصفى ، وقد اوصى أن يوضع فى المعبد .

ولما كان ارسطو اجنبيا عن اثينا ، ولم يكن له حق امتلاك الارض كما ذكرنا ، فقد وهب ديمتريوس الفاليرى ـ تلميذ ثاوفراسطس ـ الارض وما عليها من ابنية لثاوفراسطس . وفى وصية ثاوفراسطس التى حفظها لنا التـاريخ يقول : « البســتان ، والممشى Peripatos ، والمساكن الملحقـة بالبســتان ، اهبها كلها لاصـــدقائنا الذين يرغبون فى بحث الادب والفلسفة بحثا مشتركا ، ما دام ليس من الميسور لكل الناس ان يكونوا مقيمين اقامة دائمة ، بشرط الا يفسـد احد الابنية او يقصرها على استعماله الخاص ، ولكن الشرط ان يملكوا المدرسة وكأنها معبد من الأملاك العـامة ، وان يعيشوا معا معيشـــة لائقة على اســاس من الصحبة والصداقة » .

وتدل هذه الوصية على ان روح ارسطو التى زرعها فى تلاميذه كانت لا تزال ترفرف عليهم . وقد وضـــع لهم ارسطو دستوراً للمدرســة يتبعونه فى الطعـــام والشراب والنوم . ومن دستور المدرسة ان يجتمعوا مرة كل شهر حول مائدة للطعام او الشراب ، على طريقة مأدبة أفلاطون ، رمزاً للمعيشة المشتركة . وفى وصـــية ستراتون الرئيس الذى تولى بعد ثاوفراسطس رياسة المدرسة نجـد قائمة بالادوات التي وهبها للرئيس الذى عهد اليه بالمدرسة من

بعده ، وهذه الأدوات هى الملاءات الخاصة بالولائم وكؤوس الشراب وجميع الأثاث الموجود فى صالة الطعام . ويبدو أن هذه الأدوات استمرت تستكمل على مر الزمن ، حتى ان المدرسة تحت رياسة ليقون الذى تولى بعد ستراتون وجهت اليها كثير من الشكوى لأن الطلبة الفقراء لايستطيعون المشاركة فى المآدب بسبب ما فيها من ترف شديد . مهما يكن من شيء فان ارسطو كان قد وضع دستورا للشراب وللمآدب ، كما كانت الحال فى الأكاديمية ، وفى معظم المدارس الفلسفية التى وجدت فى ذلك الحين .

ولسنا ندرى شيئا عن الرسوم الدراسية ، ولكن يبدو انها كانت بحسب مقدرة كل طالب ، ولعل الفقراء لم يكونوا يدفعون شيئا . ولذلك كانت المدرسة تعيش على هبات الأغنياء من جهة ، وعلى ما يدفعه الطلبة القادرون من جهة ثانية .

ولسنا ندرى عدد التلاميذ الذين كانوا يحضرون دروس ارسطو ، ولكن يبدو انهم كانوا عدداً وفيرا . فقد حدثنا ديوجينس اللايرسى فى كتابه : « سيرة الفلاسفة » عند الكلام عن ثاوفراسطس ان ٢٠٠٠ طالب اعتادوا حضور دروسه ؛ ولو أننا نشك فى هذا العدد ، فاذا كان ثاوفراسطس وهو تلميذ ارسطو واقل منه شهرة حظى بهذا العدد من التلاميذ ، فلا بد أن عدد تلاميذ ارسطو كان أكثر . ولم يبين ديوجينس عددهم ، ولكنه قال انهم كثير ، ابرزهم

تاوفراسطس . ولا بد أن هذا العدد الكبير هو الذى كان يحضر الدروس المسائية ، أما الدروس الصباحية ، أو السماعية ، فلم يكن العدد يتجاوز بضع عشرة تلميذا .

فما هى الدروس التى كان أرسطو يلقيها عليهم ؟

يختلف أرسطو عن استاذه افلاطون مزاجاً ومنهاجا وفلسفة . صاحب الأكاديمية كان يرى أن الفلسفة شىء يدرك بالحدس ، والرؤية الباطنة ، واتصال النفس بالحقائق الأزلية ، ولذلك عرف الفلسفة بانها « رؤية » الحق ، وجدير بمن يبلغ الحق عن هذا الطريق أن يحتفظ به سراً من اسرار النفس ، اذ يصعب التعبير عن الحق باللفظ واللغة . ولذلك حذر أفلاطون فى أكثر من موضع من محاوراته الناس أن « يدونوا » الفلسفة ، لانها تدرك وتحس فقط . وقد ذكرنا قبلا أن محاورات أفلاطون لم يودعها فلسفته التى كان يدرسها فى الأكاديمية ، وانما عرفنا تلك الدروس مما ذكره بعض تلاميذه ونقلوه عنه وعلى راسهم أرسطو .

كان ذلك رأى افلاطون : أن الفلسفة حوار يدور بين عقلين ، أو « جدل » يصعد فى باطن النفس الى آفاق المثل الخالدة ، ويهبط من سماء المثل الى عالم المحسوسات والتغير . ولكن أرسطو كان له فى الفلسفة رأى آخر ، فهى البحث عن العلل الأولى والغايات الأخيرة ، وهى ضرب من البحث المنظم الذى يعتمد على منهج آخر خلاف الحوار

وخلاف الجدل ، ذلك المنهج هو « المنطـق » الذى ابتكره ارسطو حتى اشتهر به ، ولقبه المتاخرون وبخاصة العرب : « صاحب المنطق » .

ولم يكن ارسطو يذهب الى القول بعدم تدوين الفلسفة ، لان وجهة نظره نحو تفسير الموجودات تختلف عن وجهة نظر افلاطون . فالفلسفة عند ارسطو هى « العلم بالموجود من حيث هو موجود » ، اى انه يقر ويعترف بالوجود المحسوس ، وما دام الامر كذلك فالمحسوس مركب بلا نزاع من « مادة » او بالاصطلاح اليونانى الذى دخل لغة العرب من « هيولى » . اما افلاطون فقد ضرب عن المادة صفحا ، وفسرها تفسيرا رياضيا ، وزعم ان « المثل » هى اصل الموجودات المحسوسة .

من هنا كان اتجاه ارسطو طبيعيا ، وكان اتجاه افلاطون رياضيا . ولعل هذا الخلاف فى الاتجاه كان من جملة الاسباب التى دعت ارسطو ان يهجر الاكاديمية وان يفتتح مدرسة جديدة . والفلسفة الطبيعية تبحث فى امور غير تلك التى تبحث فيها الفلسفة الرياضية ، فضلا عن اختلاف المنهجين واختلاف الاسلوبين واختلاف النزعتين .

وقد خلّف لنا ارسطو مؤلفات فى جميع المعارف ابتداء من المنطق بأجزائه والطبيعة وعلوم الحياة الى الميتافيزيقا والاخلاق والسياسة . وكانت تلك المؤلفات متداولة فى داخل المدرسة حول ثلاثة قرون من الزمان ، الى ان رتبها

اندرونيقوس الروديسى فى القـــرن الأول قبل الميلاد هذا الترتيب المعروف حتى اليوم ، واكتسبت هـــذه المؤلفات أسماء لم تكن لها زمان ارسطو .

مثال ذلك أن كتاب « الميتافيزيقا » لم يؤلفه ارسطو بهذا الاسم ، بل الفن الذى يبحث فيه هو اما الفلسفة الاولى ، واما الالهيات . اما الميتافيزيقا فهو اسم وضعه اندرونيقوس للدلالة على ترتيب الكتب التى جاءت « بعـــد » الكتب الطبيعية ، لأن « ميتا » باليونانية تدل على « بعد » ، ولذلك قال العرب فى ترجمتهم لهذا الكتاب انه كتاب « ما بعـــد الطبيعة » . وحقيقة أمره انه ليس كتابا واحداً ، بل اربعة عشر كتابا مرتبة على حسب الحروف الابجدية اليونانية .

والمنطق الذى تركه لنا ارسطو يتالف من ســـتة كتب أساسية ، هى (١) المقولات (٢) العبارة (٣) القياس (٤) البرهان (٥) الجدل (٦) السفسطة . وقد اضاف العرب فيما بعد الى هذه الكتب الستة ثلاثة اخرى ، مدخلا يسمى « ايساغوجى » اى المدخل الى المقولات وهو من عمل فرفريوس الصورى ، ثم الخطابة والشعر . والشعر بوجه خاص كتاب فنى يبحث فى الفن والجمال ولا صلة له بالمنطق ، ولكن العرب متاثرين ببعض شراح ارسطو جعلوه ضربا من القياس . ولم يكن ارسطو يعرف مصطلح « المنطق » فهذا المصطلح من وضع شيشرون فى عصر متاخر ، ولكنه كان يعنى بما نقول عنه المنطق « التحليلات » . وصناعة التحليل

عنده تمر فى مرحلتين أولى وثانية ، فالأولى هى القياس ، والثانية هى البرهان . والمقصد من المنطق هو البرهان الذى يؤدى الى معرفة اليقين فى الأمور العلمية ، لأنه يعتمد على مقدمات أولى يقينية . والمنطق عند ارسطو ، وعند المشائيين بوجه عام ، هو أداة التفكير ، هو « الأرجانون » اى الآلة التى اذا أحسن المرء استخدامها توصل الى التفكير الصحيح .

وهكذا نرى أن البرهان منهج ضرورى للبحث فى الطبيعيات ، وقد كان ارسطو مبتكراً الى حد مّا لهذا المنهج الذى استخدمه منذ كان فى اسوس وميثلين وعندما افتتح اللوقيون ، وكان يتتبع الظواهر الطبيعية للوصول منها الى القواعد الكلية السارية فى العالم الطبيعى . وله من الكتب فى هذه الموضوعات كتاب الطبيعة ، والسماء ، والكون والفساد ، والآثار العلوية ، ثم الكتب النفسية وعلى راسها كتاب النفس ، والطبيعيات الصغرى التى تشمل الحس والمحسوس ، والذكر والتذكر ، والنوم والأرق وغير ذلك . ثم الكتب التى تبحث فى علم الحيوان ، وقد اقتبس الجاحظ فى الحيوان كثيرا من آراء أرسطو ، وذكره فى اكثر من موضع .

وههنا يمكن تقدير قيمة المساعدة التى امر بها الاسكندر المقدونى حين طلب من الصيادين فى الجو والبر والبحر ان يقدموا نماذج مما يصيدون لأرسطو ، او على أقل تقدير ان

يصفوا له ما لا يتيسر لهم تقديمه من اصناف الحيوان . وهذا المنهج الذى يعتمد على وصف النماذج المختلفة يسميه ارسطو « التاريخ الطبيعى » ، وفيما يختص بالحيوان يسميه تاريخ الحيوان ، يقصد بذلك تسجيل اصنافه المتعددة . ولم يتبع ارسطو هذه الطريقة فيما يختص بالبحث الطبيعى فقط ، بل كذلك عندما بحث الدساتير ونظم الدولة . انه يقيم نظريته السياسية بعد التقصى والاستقراء .

لم يكن ارسطو صاحب المنطق فقط ، بل يمكن القول انه صاحب كل علم ، وواضع اسس معظم فروع العلوم الطبيعية . فهو صاحب الحيوان ، وهو صاحب النفس الذى ظل كتابه فى علم النفس عمدة لهذا العلم عشرين قرنا من الزمان . وقد استمرت نظرية العناصر الاربعة حتى القرن الثامن عشر هى النظرية السائدة فى العلوم الطبيعية . وهكذا نجد ان فلاسفة العصر الوسيط سموه بحق « المعلم الاول » ، واستمرت كتبه هى العمدة التى يعول عليها ، والاصل الذى يعد اقصى ما يتمناه المرء ان يقوم بشرحها . ولذلك قامت المشائية كمدرسة على كتب المعلم الاول وشروحها . واشتهر الشراح فى هذه المدرسة شهرة مؤسسها ، ولا يمكن الفصل فى هذه المدرسة بين المعلم الاول وبين شراحه . وكيف يمكن هذا الفصل ولم تظهر كتبه الا بعد ثلاثة قرون من الزمان ، ولم يكن ترتيبها على هذا النحو

الموجود بين ايدينا . ويبدو ان كثيرا من هذه الكتب من عمل المدرسة لا من عمل ارسطو وحده .

ولما توفى ارسطو تولى رياسة المدرسة ثاوفراسطس ثمانية وثلاثين عاما (٣٢٣ ـ ٢٨٦) ، ويعد المؤسس الثانى لمدرسة اللوقيون ، بخاصة ان ارسطو لم يستمر فى المدرسة الا ثلاثة عشر عاماً . وقد الى اثينا من جزيرة لسبوس وحضر على افلاطون فى الاكاديمية ، وعرف ارسطو فى ذلك الحين ، وتوطدت الصداقة بينهما ، ولما هجر ارسطو اثينا قبل وفاته بعام عهد برياستها الى ثاوفراسطس ، ووهب له فى وصيته المكتبة والمذكرات التى كان يلقى منها محاضراته ، والتى نشرت فيما بعد على انها مؤلفات المعلم الاول . وقد ذكرنا من قبل ان عدد الذين كانوا يحضرون دروسه بلغ الالفين ، ولعل هذا العدد كان يحضر دروس الخطابة والاخلاق وما اشبه . والاشبه ان الرقم مبالغ فيه . وقد تابع ثاوفراسطس جهود ارسطو فى تاسيس المدرسة واستكمالها ، فوسع الحديقة ، ونظم الاوقات والمناهج للتدريس . واشتهر بكتابه فى النبات ، وله فى هذا الفن كتابان فى الواقع هما تاريخ النبات ، وعلل النبات ، ظلا عمدة هذا العلم فى الزمن القديم والعصر الوسيط . والعرب يعرفون ثاوفراسطس ويبجلونه ، وترجموا كتبه . وجاء فى وصيته ما فحواه ان المال الذى اودعه عند هيبارخوس ينفق منه اولا على اتمام تجديد بناء المتحف وما فيه من تماثيل

الآلهة ، وثانيا أن يوضع فى المعبد تمثال أرسطو كما كان من قبل ، وثالثا تجديد بناء الرواق المجاور للمتحف بشرط أن يكون جميلا كما كان ، وأن يوضع فى الرواق السفلى المناضد وعليها خرائط البلاد التى اجتازها الرواد المستكشفون . وأيضا يجب اصـــلاح المذبح وتجميله . الى قوله : وانى اوصى باتمام تمثال نيقوماخوس فى الحجم الطبيعى ، وقد دفعت الأجر المتفق عليه للمثّال براكستيلس .... وانى اوصى أن تتألف هيئة المدرسة من هيبارخوس ، ونيلوس ، وسطراطون ، وقالينوس ، وديموتيموس ، وديمارتوس ، وقالستينمس ، وميلانتيس ، وبانقريون ، ونيقيبوس .

والوصية طويلة لم نذكر الا بعضـها لنبين كيف كان رئيس اللوقيون يفكر فى مصلحة المدرســة حيا وميتــا ، وكيف كان يعنى بتجميلها ، كما وضح لنا عــدد الخلفاء البارزين الذين كانوا يديرون امور المدرسة . وهذه الهيئة اشبه شيء بمجلس ادارة للنظر فى جميع شئون المدرسة ، ويعد رئيس المدرسة رئيس مجلس الادارة .

تولى المدرسة اسطراطون من ٢٨٦ الى ٢٦٨ ق.م ، وقد اشتهر باسم اســطراطون الطبيعى بسبب انقطاعه لبحث الطبيعة . وقد علم بطليمــوس فيلاديلفوس الذى نفحه مبلغا عظيما من المال يضــاهى ما اعطاه الاسكندر لأرسطو . وله مؤلفات كثيرة ذكر ديوجينس أسماءها ، كما اثبت وصيته التى جاء فيها أنه يعهد برياسة المدرسة الى

« ليقون » لان الآخرين اصبحوا اما طاعنين فى السن واما فى غاية الانشـــغال ، ويبدو من النظر فى وصـــية رؤساء المدرسة ان الرياسة كانت فى بعض الأحيان بالنص والتعيين ، كالحال فى تولية ليقون ، وفى بعض الاحيان الأخرى بالانتخاب من جماعة الفلاسفة الذين يديرون امور المدرسة ويعيشون معا معيشة مشتركة .

واستمر ليقون حول نصف قرن رئيسا للمدرسة ، من ٢٦٨ الى ٢٢٥ ق.م . ولم يؤثر عنه الاشتغال بالعلم الطبيعى بل اتجه الى الاخلاق والسياســة والبلاغة . ومنذ ذلك الوقت بدأت مدرسة الاسكندرية تنتزع الراية من المدارس الاثينية التى لم يعرف عنها تجديد أو ابتكار .

ثم توالى الرؤساء على المدرسة . ويهمنا ان نتحدث قليلا عن الرئيس الحادى عشر وهو اندرونيقوس الرودسى ، وكانت مدته من ٧٨ الى ٤٧ قبل الميلاد . وترجع اهميته الى انه هو المسئول عن ترتيب كتب ارســـطو على النحو الموجود بين ايدينا الآن ، او انه هو الذى اعد كتب ارسطو للنشر على هذا النحو . ولسنا نقصد بالنشر انه طبعها ، فلم تكن المطبعة قد اخترعت بعد ، وانما كانت الكتب تنسخ على لفائف من اوراق البردى او رقائق الجلد . ويكفى ان تتصور « المكتبة » الملحقة بالمدرسة والأبنية التى تتسع لمثل هـــذه الكتب الضخمة . وقد احتـــذت برجامون والاسكندرية فى انشاء مكتباتها حذو مكتبة ارسطو .

ولعلنا نترك حديث المدرسة بعض الوقت لنتحدث عن قصة كتب ارسطو تلك القصة التى تشبه الاسطورة . ذلك ان ثاوفراسطس حين حضرته الوفاة اوصى بمكتبته الى زميله وصاحبه نيلوس ، وكان فى تلك المكتبة الخاصة مؤلفات ارســـطو . ولما كان نيلوس مواطنا من طـــروادة بآسيا الصغرى ، فقد حمل الكتب معه هناك حيث انشأ حلقة افلاطونيـــة ــ (وكان نيلـوس يدرس بالاكاديمـــية مع ثاوفراسطس وارسطو) . وحين أراد حكام برجامون انشاء مكتبة تنافس مكتبة الاسكندرية ، خشى ورثة نيلوس ان يستَولى على مكتبتهم فاسرعوا باخفائها فى كهف ، وظلت حبيسة المغارة قرنا ونصف قرن ، الى ان سمع بخبرها ابيليقون الضابط المرتزق فى جيش ميثريادس ، وكان جماعا للكتب ، فاشتراها بثمن بخس . وكانت الرطوبة قد محت كثيرا من الكتابات الموجودة باللفائف ، ولم يستطع ابيليقون ان يرتب هذه المؤلفات ، وان يصدر منها نشرة صحيحة . وارسلت الكتب الى روما ، حيث اراد تيرانيون النحوى امين مكتبة شيشرون ان يرتب الكتب ، ولم يفلح . اما النشرة الصحيحة فهى تلك التى اشرنا اليها من عمل اندرونيقوس الروديسى . ويعد عمله فى هـذا الترتيب والنشر شرحا لمؤلفات ارسطو . فهو اول شارح .

احتاج ارسطو الى شراح لأن العهد كان قد بَعُد بين تعليمه فى القـــرن الرابع قبل الميـــلاد وبين العصـــور

الجديدة بعد ثلاثة قرون ، أى منذ القرن الاول قبل الميلاد . وكانت فلسفات جديدة قد ظهرت الى الوجود واصبحت هى السائدة ، كالرواقية ، والابيقورية ، والاسكندرانية ، ثم الافلاطونية المحدثة . ولما تدهورت مباحث الفلسفة اخذ المشتغلون بها من المتاخرين يخلطون بين هذه الفلسفات كلها على الرغم من ان الاسس التى تقوم كل منها عليها مختلفة . هذا الى أن اوائل الخلفاء على مدرسة ارسطو لقرب عهدهم منه كانوا يحسنون فهم كتبه واتجاهاته ، فلما انقضى ذلك الرعيل الاول خلف من بعدهم خلف اصبحت هذه المؤلفات بالنسبة اليهم اشبه بالطلاسم التى تحتاج الى تفسير أو الى شرح . ومن هنا ظهرت الحاجة الى الشراح .

والشراح للمشائية كثيرون ، وصلت بعض كتبهم الى العرب الذين كانوا على معرفة وثيقة بهم ، ولكن اشهر الشراح باطلاق بالنسبة الى العالم العربى الاسكندر الافروديسى فى القرن الثالث بعد الميلاد وثامسطيوس فى الرابع بعد الميلاد وسمبلقيوس فى القرن السادس بعدالميلاد. وقد اتصل العرب بهذه الحركة فكان ابن رشد من اكبر شراح ارسطو لا تقل منزلته عن الاسكندر الافروديسى أو ثامسطيوس ، وقد نقلت شروح ابن رشد الى اللغة اللاتينية، وعرفت اوربا ارسطو والمشائية عن طريق ابن رشد .

ولا تزال مدرسة ارسطو ، على الرغم من انها اغلقت نهائيا ابوابها فى اثينا عندما طرد الامبراطور جستنيان

الفلاسفة سنة ٥٢٩ ، حية حتى اليوم ، ونقلت افكارها الى جميع اللغات ، ولا يزال منطق ارسطو مستخدما ، ولا تزال اتجاهاته الفلسفية الرئيسية باقية ، وعلى راسها ان الفلسفة هى العلم بالموجود ، أو هى العلم بالعلل الاولى والغايات الاخيرة وبقيت الارسطية ولا تزال عنوانا على تفسير الموجودات بالهيولى والصورة ، اى بمبدأين لا بمبدا واحد ، والقول بالقوة والفعل باعتبار ان القوة تقابل المادة والفعل يقابل الصورة ، وعلى القول بنظرية الوسط فى الاخلاق .

الرواق والحديقة

كانت المدارس الفلسفية فى اليونان كثيرة ، اشرنا الى ابرزها واهمها واعظمها اثرا فى تاريخ الفكر البشرى ، وورد فى اثناء ذلك ذكر بعض المدارس التى لم تلبث ان انقرضت بموت اصحابها . وفى اواخر القرن الرابع واوائل الثالث قبل الميلاد ظهرت اربع مدارس هى الكلبية والشكاك والرواقية والابيقورية ، واشهرها الرواقية والابيقورية ، فالرواقية نسبة الى مكان التعليم فى الرواق ، والابيقورية نسبة الى صاحبها ابيقور ، الذى كان يعلم فى الحديقة .

وعلى الرغم من زوال المدرستين منذ القرن الاول للميلاد تقريبا الا ان روح الرواقية لا تزال سارية حتى اليوم ، على حين اكتسبت الابيقورية معنى منحرفا ، واصبح الشخص الذى يوصف بانه ابيقورى انما يدل ذلك على انهماكه فى الشهوات واسرافه فى الملذات .

نبدأ بالحديث عن الرواقية فنقول : ان الذى اسس هذه المدرسة هو زينون الرواقى ، أصله من مدينة اكتيوم بجزيرة قبرص ، وهى مدينة يونانية استقر بها مهاجرون من فينيقيا التى تقع على الشاطىء المقابل للجزيرة . ويروى انه خرج

فى تجارة فغرقت السفينة على مقربة من بيرايوس ميناء اثينا ، فلما نجا توجه الى اثينا ، واستقر بها ، ودرس فيها ، وكان فيما يقال فى الثلاثين من عمره . فلما استقر به المقام اشترى من وراق كتاب زينوفون عن سقراط وهو المذكرات المشهورة ، فاعجب به وسأل : اين يوجد رجل مثل سقراط ؟ فاشار عليه الوراق باتباع اقراطيس الكلبى . وتنقل زينون عشرين عاما بين المدارس الفلسفية فى اثينا ، ثم اخذ يعلم الفلسفة فى رواق مشهور باثينا كان محلى بنقوش بوليجنوتس اشهر الرسامين اليونانيين فى القرن الخامس قبل الميلاد . وكان ذلك الرواق فيما مضى منتدى للأدباء والشعراء يلتقون فيه ، وكان الى ذلك مباحا لكل طارق ، فلما اتخذه زينون مكانا للتعليم سمى واتباعه بالرواقيين .

الواقع كانت طريقة التعليم فى اليونان كما ذكرنا تتم بين المعلم وتلاميذه اما فى رواق ، واما على ممشى بين الاشجار ، اى فى حديقة . فالاكاديمية — وهى التى سماها العرب اقاذيميا — كانت فى الاصل حديقة سميت باسم البطل اكاديموس . وكان كبار السفسطائيين الذين علموا فى بيوت اشراف اثينا يلقون دروسهم وهم يمشون فى الرواق . ذلك ان القصور كانت تبنى بحيث يفسح فيها مكان لأروقة تقام على اعمدة تلقى ظلا يخفف من حرارة الجو . ولكن بعض المدارس اشتهرت تاريخيا بنسبتها الى خاصية معينة ،

مثل مدرسة المشائين ، وحديقة أبيقور ، ورواق الرواقية .

والرواقية مذهب تغير على مر الزمن ، فهى على يد مؤسسها زينون خلافها على يد ابكتيتوس او مرقص اوريليوس مثلا . ولكنها على الرغم من تطورها ، وعلى الرغم من هجرها لاتجاهات مادية او طبيعية ، فقد بقى لها طابع عام لا يزال حتى اليوم يميزها عن أى مدرسة فلسفية اخرى . والرواقى صفة تطلق — وبخاصة فى اللغات الأوربية — على الشخص الذى يمتاز بثلاثة امور كلها اخلاقية ، هى التحرر من الأهواء ، وعدم الخضوع للأفراح والأحزان ، والاستسلام لقانون القضاء . فاذا تيسر لاحد أن يملك زمام نفسه على هذا النحو ، فهو الحكيم الرواقى . ويمكن القول بعبارة اخرى ان الحكيم الرواقى هو الذى يصبر على أحداث الزمان ، ويرضى بما يجرى عليه ولا حيلة له فيه من العطاء أو الحرمان ، وهذا شىء ليس من اليسير ان يتقبله كل انسان .

والرواقية مدرسة عجيبة ، ظهرت فى بلاد اليونان ولكن مؤسسها غير يونانى ، وجمعت بين السيد والعبد على صعيد واحد ، ولم تميز بين شرقى ولا غربى ، ولم تستقر فى مكان واحد أو داخل جدران مدرسة واحدة ، ومع ذلك انتشرت تعاليمها ، ولا تزال سارية حتى الآن . وتطورت آراؤها على مر العصور ولكنها احتفظت بطابع اخلاقى يميزها عما عداها .

استمرت رسميا خمسة قـــرون ، من الثالث قبل الميلاد ، الى الثانى بعد الميلاد . اول ممثليها زينون وآخرهم مرقص اوريليوس المتوفى ١٨٠ ب.م . وتقسم المدرسة عادة الى قديمة ووسطى وحديثة ، فالقـديمة فى اثينا ويمثلها زينون وكليانتس وكريسيبوس ؛ ووسطى يمثلها بنائيوس وبوزيدونيوس ؛ وحديثة فى روما يمثلها سنيكا وابيكتيتوس ومرقص أوريليوس . ثم تسربت آراؤها الى المســيحية واستمرت فى التراث الغربى حتى الوقت الحاضر . وقد كان لها اثر كبير على الحكام والملوك الذين اعتنقوا هذه الفلسفة حتى قيل ان معظم الملوك بعد الاسكندر المقدونى كانوا من اتباع الرواقية .

وتقوم الرواقية على مبدأين اساســيين مع التوفيق بينهما ، وهما الحتمية الكونية والحرية الانسانية . والاول منهما خاص بالطبيعة والثانى بالانسان . ذلك ان حوادث الكون محكومة بقوانين صارمة ، وليس ثمة فى نظر الرواقيين صدفة أو اتفاق . وعندهم أن كل شىء فى هذا العالم مسوق نحو غاية ومدبر لخدمة الانسان . وهذه هى نظرية العناية الالهية . وعلى الانسان أن يسعى بارادته ، ومحض حريته واختيـاره الى أن يتوافق مع القـوانين العامة للطبيعة . فالفضيلة اذن تقوم فى حرية الارادة الموافقة للطبيعة . وما دام الامر كذلك فلا بد ان يكون الحكيم الرواقى سيد نفسه ،

لا يهمه فقـر او غنى ، ولا تصـــده اى قوة خارجية عن الفضيلة .

ولما كانت آراء هذه المدرســة غير منفصلة عن حياة اصحابها ، فلنشرع فى الحــديث عن ابرزهم ، مبتــدئين بمؤســسها :

ذكرنا ان زينون الرواقى ــ وهو خلاف زينون الايلى تلميذ بارمنيدس ــ من اصـــل فينيقى ، ولد فى قبرص بمدينة اكتيوم ، وازدهر فى اوائل القــرن الثالث من قبل الميــلاد . وكان ابوه تاجرا ، فاشـــتغل زينون فى صــباه بالتجارة ، وركب البحر متجها الى بلاد اليونان يبيع شحنة من الارجوان . غير ان السفينة تحطمت ، فذهب الى اثينا ، واخذ يدرس الفلسفة . ويحكى فى سبب ذلك انه اختلف الى دكان ورّاق (اى صاحب مكتبة) ، وقرأ عنه مذكرات زينوفون التى روى فيهــا احاديث ســقراط ، فاعجب بالمحاورات اعجابا شديدا وســـأل : اين يمكن ان يجــد شخصا مثل سقراط ؟ ولقد ظلت شخصية سقراط المثل الاعلى للرواقية فى شتى عصورها ، اذ اعجب الرواقيون بموقفه فى المحاكمة ، ورفضه الهرب من السجن ، وهدوئه فى مواجهة الموت ، وعلى الجملة سيرته الاخلاقية الفاضلة . كما اعجب الرواقيون كذلك ببساطة ســقراط فى الطعام والشراب والملبس ، وعدم مبالاته بالحر او البرد ، وعزوفه

عن الرفاهية والترف . من اجل ذلك اقترنت الرواقية بالزهد والاخلاق الفاضلة .

عاش زينون حتى بلغ التسعين ، وظفر بشهرة واسعة ، وكان له تلاميذ كثيرون فى المدرسة التى خلفه على رياستها كليانتس . اشتهر بامرين الاول التمسك بان الارض مركز الكون ، ولذلك يجب الحكم على ارسطارخوس بالاعدام لالحاده بسبب قوله ان الشمس مركز الكون لا الأرض . والثانى قصيدته التى نظمها فى تقديس زيوس .

غير ان خليفته فى المدرسة وهو كريسيبوس (٢٨٠ — ٢٠٧ ق.م) هو الذى يعزى اليه تثبيت دعائم المدرسة ، وتنظيم المذهب ، والعناية بالمنطق ونظرية المعرفة . وكان زينون يقول ان الفلسفة بستان والمنطق سوره ، والطبيعة شجره ، والاخلاق ثمره ، وبذلك جعل الأخلاق لب الفلسفة والمباحث النظرية من طبيعة ومنطق تابعة لها . ولكن يبدو ان كريسيبوس افرد للدراسة النظرية مكانا اوسع ، وبخاصة المنطق ، الذى اضحى جزءا من الفلسفة ، لا كما ذهب ارسطو آلة لتحصيلها فقط . ومن اقواله فى الاخلاق ان الرجل الفاضل سعيد دائما والشرير شقى ابدا ، وان النفس تبقى بعد فناء البدن الى ان يحين الاحتراق العام .

ثم انتقلت الرواقية الى روما غربا مع ظهور الامبراطورية الرومانية . وتعدل المذهب اولا على يد بنائيوس (توفى ١١٠ ق.م) الذى ادخل فى الرواقية عناصر افلاطونية

وهجر مادية المدرسة القديمة ، وكان صديقا لشيبيو ، كما اثر فى شيشرون صاحب الفضل فى نشر الرواقية بين الرومان . وقد تعلم بوزيدونيوس من بناتيوس وخلفه . وبوزيدونيوس اغريقى من سوريا ، شهد فى صباه نهاية الدولة السلوقية فى سوريا ، ودفعه ما رآه من فوضى الى الهجرة غربا . فذهب اولا الى اثينا حيث رضع لبان الرواقية فى ظل الرواق . غَرب الى اقصى غرب الامبراطورية الرومانية فى شمال افريقيا واسبانيا وفرنسا . وقد تعلم شيشرون على بوزيدونيوس فى رودس وعنه اخذ هذا المذهب . وقد اتجه وجهة رياضية موفقا بين تعاليم افلاطون الاصلية — لا تعاليم الاكاديمية التى اصطنعت مذهب الشك — وبين الاخلاق الرواقية .

ذكرنا ان الرواقية فى عصرها المتاخر اشتهرت برجال ثلاثة على راسهم سنيكا (من ٣ ق.م الى ٦٥ ب.م) . اصله اسبانى ، عاش ابوه فى روما ، تثقف ثقافة سياسية هيأته للاشتغال بالسياسة فاصبح وزيرا للامبراطور كلاوديوس ، الذى نفاه الى كورسيكا بسبب عداوته لزوجته ماسالينا . ثم استدعته اجريبا زوجة الامبراطور الثانية ، وعينته معلما لابنها البالغ من العمر احدى عشرة سنة . وهذا الصبى هو الذى اصبح فيما بعد الامبراطور نيرون . وهكذا كان سنيكا معلم الامبراطور ، كما كان ارسطو معلم الاسكندر ، ولكن شتان بين التلميذين ، وبين المعلمين .

وقد لقى سنيكا من تلميذه جزاء سنمار ، اذ غضب نيرون عليه عقب اتهامه بالتآمر على حياته ومحاولة تنصيب امبراطور آخر على العرش . وقد سمح له ان ينفذ حكم الاعدام على الطريقة الرومانية بان ينتحر ، فاختار ان يقطع شريانه . ومع انه كان يزدرى المال الا انه جمع ثروة كبيرة ، قيل انها بلغت مليونا من الجنيهات .

اما ابكتيتوس (٦٠ — ١٠٠ بعد الميلاد) فكان عبدا اغريقيا ، حرره نيرون واتخذه وزيرا . عاش فى روما وعلم بها حتى سنة ٩٠ ، الى ان نفاه الامبراطور دومتيان ، ولم يكن يحب ارباب الفكر والنظر ، مع من نفاهم من الفلاسفة . وذهب ابكتيتوس الى نيقوبوليس فى ابيروس ، حيث اخذ يعلم ويؤلف .

اما الامبراطور مرقص اوريليوس (١٢١ — ١٨٠) فقد عاش حياة رواقية فاضلة . تميز عصره بوقوع كوارث عديدة من زلازل ، واوبئة ، وحروب طويلة دامية . وكان ابنه الامبراطور كومودس من اسوأ الاباطرة سيرة ، ولكنه اخفى نواياه الشريرة عن ابيه مدة حياته . وقد اشتهر مرقص اوريليوس بكتابه الذى نشر بعد وفاته ، وهو « التأملات » . وهو عبارة عن خواطر كان يدونها لنفسه ، ولم يكن يعدها للنشر . وقد اتهمت زوجته « فاوستينا » بفساد السيرة ولكن زوجها لم يشك فى شرفها . وقد اضطهد اوريليوس المسيحيين لخروجهم على دين الدولة

الذى كان يعتبره ضرورة سياسية . وعلى الجملة عاش مرقص اوريليوس حسن السيرة نقى السريرة .

كانت فلسفة ابكتيتوس ومرقص اوريليوس ملائمة للعصر الذى عاشا فيه ذلك العصر الذى تميز بالقلاقل والاضطرابات والكوارث ، ولم يكن ثمة أمل فى تحسين تلك الأحوال التى سارت من سيىء الى اسوأ حتى انتهى الأمر بسقوط الامبراطورية الرومانية . من أجل ذلك كانت الاخلاق الرواقية التى بشرا بها وسارا عليها أفضل اخلاق ملائمة لذلك الصبر ، اذ كانت تدعو الى الصبر على الأذى ، واحتمال المصائب والرضا بالقضاء ، أكثر منها رسالة أمل ورجاء .

وفلسفتهما متشابهة الى حد كبير . ومن اقوال ابكتيتوس : اننا نعيش مساجين على الأرض ، وفى بدن ارضى . ومن اقوال مرقص اوريليوس : ما أنت ايها الانسان سوى روح ضئيلة تحمل على كاهلها جثة .

***

وقد أصبحت حديقة ابيقور عنوانا على البحث الفلسفى فى الاخلاق واعتمادها على اللذة ، وعلى الصحبة الفلسفية لتبادل الآراء . وقد شاع عن ابيقور أن مذهبه هو الاقبال على اللذة ، والحق ان احدا لم يظلم مثلما ظلم ابيقور ان فى سيرته أو فى مذهبه . وقد اشاع عنه خصومه

الشـــائعات والصقوا به التهم جـــزافا . واكبر الظن ان خصومه فى الفكر هم الرواقيون اصحاب الرواق والذين كانت مدرستهم تنافس حديقته . قيل مثلا ان امه كانت كاهنة مشعوذة ، وكان يطوف معها من دار الى اخـرى يرتلان الأدعية الدينية . كما كان يساعد اباه فى مهنة تعليم الصبيان لقاء اجر ضئيل . ولو صحت الرواية السابقة عن امه فيكون فى ذلك السر فى كراهيـــة ابيقور فيما بعـــد للخرافات الدينية التى تميزت بها تعاليمه .

ابوه اثينى استقر فى ســـاموس ، وهناك انجب ابنـــه ابيقور سنة ٣٤٢ ق.م ، وفيها امضى الصـــبى حداثته ، وشرع يدرس الفلسفة وهو فى الرابعة عشرة من عمره . وفى الثامنة عشرة ذهب الى اثينـــا يبغى ان يكون مواطنا اثينيا ، ولكن فى ذلك الوقت طرد المستعمرون من ساموس ، فلجأ مع اسرته الى آســـيا الصغرى . وقد تعلم ابيقور المذهب الذرى على يد ناوزيفانس احد اتباع ديمريطس .

بدأ يفتتح مدرسة فلسفية سنة ٣١١ فى ميتلين ، ثم فى لامباسكوس .

وفى سنة ٣٠٧ افتتح مدرسته فى اثينا ، وظل يعلم بها الى ان توفى سنة ٢٧٠ ، فكانت بذلك رابع مدرسة كبرى فى اثينا بعد الأكاديمية واللوقيون والرواق . وتعد حديقة ابيقور مدرسة منظمة كالثلاث الأخرى ، وهذا سر بقائها حتى نهاية القرن الأول قبل الميلاد ، اذ تعلقت بمكان ثابت ،

وكان لها رؤساء تولوا ادارتها بعد موت صاحبها . وهذا على عكس المدرستين اللتين اشرنا اليهما فى بداية هذا الفصل ، وهما مدرسة الكلبيين ومدرسة الشكاك .

اشترى ابيقور فى اثينا بيتا وحديقة هى التى كان يقوم بالتدريس فيها ، ومنذ ذلك الوقت أصبحت حياته هادئة لا يعكر صفوها سوى اعتلال صحته .

اشترك بالمدرسة منذ انشائها فى ميتلين اخوته الثلاثة وبعض الأصدقاء ، ولكن عدد التلاميذ اخذ يزداد فى اثينا . ولم تقتصر المدرسة على قبول طلبة الفلسفة فقط ، بل ضمت الأصدقاء والأطفال والعبيد والصواحب . وكان لاشتراك المرأة فى الحديقة اثره فى التشنيع على المدرسة ، وذريعة اتخذها خصومه لاتهامه بالباطل ، اذ لم يكن من المألوف فتح ابواب المدارس الفلسفية للمرأة ، فيما عدا مدرسة فيتاغورس التى كانت فى واقع الأمر فرقة دينية .

والرابطة الأساسية التى كانت تجمع بين أفراد المدرسة هى الصداقة . وكانت حياة الجماعة ــ او الفرقة ــ فى المدرسة بسيطة جدا ، لا لأن تعاليم المدرسة كانت تنصح بالبساطة ، كما هى الحال فى سائر المدارس الأخرى ، بل لحاجتها الى المال . وكان طعام ابيقور الخبز والماء ، وكذلك باقى التلاميذ ، وفى ذلك كفاية لحفظ الحياة . ومن اقوال ابيقور : ان بدنى لينتشى حين أعيش على الخبز والماء ، واني

لايصق على اللذات المترفة ، لا لذاتها ، بل بسبب ما تجلبه من عواقب غير حميدة .

اعتمدت المدرسة على الهبات التى كان يطلبها صاحبها من الاصدقاء ومن التلاميذ ، وهذه الهبات بعضها من الطعام الذى يحتفلون به فى اعيادهم ، وبعضها من المال . وقد جاء فى احدى الروايات انه سأل احدهم ان يهب المدرسة جبنا ياكلونه فى العيد .

وكان أبيقور سليط اللسان على اصحاب الفضل عليه فى تعلم الفلسفة ، اذ انكر كل فضل لديمقريطس ولوقيبوس صاحبى المذهب الذرى ، ووجه اليهما اقذع الشتائم . والمذهب الابيقورى مادى ذرى من جهة النظر الى الفلسفة الطبيعية ، وداعيا الى اللذة فى الاخلاق .

اللذة هى الخير ، وهى بدء الحياة السعيدة ونهايتها .

ومن اقواله التى حفظت فى كتب المؤرخين : لست ادرى كيف أتصور الخير اذا نزعت عنه لذة الذوق ، ومتعة المراة ، وبهجة السمع والبصر .

ومن أقواله ايضا : أول كل خير واساسه لذة البطن ، وحتى الحكمة والثقافة فانهما يرجعان اليها .

ومع أن اللذة هى مبدأ الحياة الا ان الانسان لا ينبغى ان يقبل عليها دون نظر الى عواقبها ، فان كانت وخيمة فلا بد من التضحية بها ، بل تحمل الألم المؤقت فى سبيل اللذة المستقبلة . واللذة عنده هى البعد عن الالم وتجنبه اكثر

منها اقبال على المتعة . وهذا هو السبب فى الزهد فى الطعام لأن عواقب التخمة وخيمة . والصلة الجنسية لا تؤدى الى خير أبداً ، والسعيد السعيد من لم يُصَب منها بضرر . اما راس الفضائل فهى الصداقة ، وهى لا تنفصل عن اللذة ، اذ بدونها لا يعيش المرء آمنا بغير خوف .

والخوف محور آخر لفلسفة أبيقور ، وتجنبه هو الذى يحقق اللذة . ومن اقواله فى ذلك : لا تسرف فى الأكل خشية سوء الهضم ، ولا فى الشرب خشية ما يحدث صباح اليوم التالى . واحتقر السياسة والمرأة وسائر الاعمال الشهوانية . على الجملة : عش واتق الخوف .

ومصادر الخوف أمران — فى زمانه طبعا — الدين والموت ، وهما متصلان ، لأن الدين الذى كان سائدا كان يعلم ان الموتى اشقياء . ولذلك نادى بفلسفة تستبعد من الدين ما يجعله يبعث الخوف . ومذهبه ان الآلهة لا تتدخل فى شئون البشر ، وان الروح تفنى بفناء البدن . انه لا ينكر وجود الآلهة ، فهى موجودة ولكنها لا تتدخل فى اعمال البشر ، ولا تعنى بهم ، فلا حاجة للخوف منها ، او اغضابها واستجلاب رضائها ، او الذهاب الى الجحيم بعد الموت .

وفلسفته الطبيعية ذرية ، وهى استمرار لفلسفة ديمقريطس . فالعالم مركب من ذرات وخلاء ، ولكن الذرات ليست خاضعة دائما لقوانين طبيعية صارمة ، اى لفكرة الضرورة التى سادت الفلسفة اليونانية وجاءت من الدين .

والذرات عند أبيقور لها ثقل ، ومن أجل ذلك تقع باستمرار لا نحو مركز الأرض بل الى « تحت » . وبين حين وآخر تنحرف بعض الذرات عن السقوط الى تحت متأثرة بارادة باطنة حرة . والنفس مادية ومركبة من ذرات تتخلل سائر أجزاء البدن .

***

ثم خلف ابيقور على الحديقة رؤساء يذكرهم ديوجينس لايرتوس فى تاريخه ، ولكن لم يشتهر اى واحد منهم ، اللهم الا لوكريتيوس الذى عاش فى روما وكتب قصيدته المشهورة « فى طبيعة الأشـــياء » ، شرح فيها فلسفة ابيقور ، ولم تعرف القصيدة فى زمانه (عاش ٩٩ ــ ٥٥ ق . م) بل فى عصر النهضة .

مدرسة الاسكندرية

لم تكد مدرسة الاسكندرية تظهر الى الوجود حتى كسفت بنورها مدارس اثينا ، وانتزعت منها راية العلم والفلسفة ، واستمرت تتزعم الحركة الفكرية زهاء ثمانية قرون ، من القرن الثالث قبل الميلاد عند انشائها الى القرن الخامس بعد الميلاد .

تميزت المدرسة خلال هذه الفترة من الزمان بنزعتها العلمية وبخاصة العلم الرياضى ، ولم يؤثر عنها فى عصرها الأول قبل الميلاد الاشتغال بالفلسفة . ولكنها منذ القرن الأول بعد الميلاد اخذت تنظر فى فلسفة الأديان بوجه خاص ، بعد ظهور المسيحية والصراع الفكرى بينها وبين وثنية اليونان والرومان وديانة قدماء المصريين فضلا من ديانات اخرى وافدة من الشرق مثل اليهودية والزرادشتية والمانوية . وفى خضم هذه التيارات الفكرية والدينية ظهر فى الاسكندرية « الفيثاغورية الجديدة » تحاول التوفيق بين الأديان ، وهذه الفيثاغورية الجديدة هى الأصل الذى نبعت منه جماعة « اخوان الصفا وخلان الوفا » فى القرن الرابع

الهجرى عنـــد المسلمين . وظهرت كذلك « الافلاطونية المحدثة » تحاول التوفيق بين افلاطون وارسطو مع ميل الى الافلاطونية ، وهذه النزعة هى التى رفع رايتها آخر كبار الفلاسفة فى الزمن القديم ، وهو أفلوطين الذى سـنفرد لمدرسته حديثا خاصا فيما بعد .

لم يكن لثغر الاسكندرية وجود قبل ان ينشىء المدينة الاسكندر الاكبر عقب غزو مصر . توفى الاسكندر سنة ٣٢٣ ق . م بعد أن وضع حدا للثقافة الاغريقية التى كانت تتميز بالتمسك بالفكر اليونانى وقصره على نفسها ، وبدأت الثقافة « الهلنستيـــة » أى تلك التى امتدت خارج بلاد اليونان فى سائر العالم المعروف فى ذلك الزمان والذى أخضعه الاسكندر لسلطانه يبغى انشاء « عالم واحد » وثقافة واحدة . ولكن المؤسس الحقيقى لهذه المدينة التى قدّر لها ان تكون مركز العلم والفلســـفة والثقافة فى العالم الجديد هو بطليموس الأول ، الذى حكم مصر بعد موت الاسكندر ، وكان صديقه ورفيق صباه ، واشترك معه فى حملات آسيا الصغرى ، فلما أسـس الاسكندرية ، دفن فيها رفات الاسكندر ، وانشأ بها الفنارة احدى عجائب الدنيا السبع ، وانشـأ المتحف والمكتبة . استمر حكمه حتى سنة ٢٨٥ ، فلما تولى ابنـه (٢٨٥ ــ ٢٤٧) بطليموس فيلادلفوس كان حكمه امتدادا لحكم ابيه ، ثم بلغت دولة البطالسة ذروة مجـدها فى ظل بطليموس الثالث (٢٤٧ ــ ٢٢٢) .

كان بطليموس يعرف أن مجد الدول وارتفاع منزلتها وخلود ذكرها يرجع فى المحل الأول الى ما يسودها من علم وعرفان ، وان دولا كثيرة كانت تمتاز بوفرة المال أو قوة السلطان ومع ذلك زالت ولم يبق لها فى التاريخ ذكر . لذلك اتجه بطليموس فى منافسته لأثينا بوجه خاص الى انتزاع زعامتها الفكرية عنها ، وذلك بانشاء مدرسة فلسفية على نسق الاكاديمية أو اللوقيون ، فكانت مدرسة الاسكندرية اقرب الى اللوقيون منها الى الاكاديمية بحكم أن ديمتريوس وسطراطون اللذين وضعا دعائم المدرسة كانا خليفتين على اللوقيون . ولكن النظام الذى جرت عليه المدرسة لم يكن مشابها تماما لمدرسة ارسطو ، لأسباب كثيرة ، على راسها ان اللوقيون ارتبطت باسم مؤسسها وهو أرسطو واستمرت تبث تعاليمه المشائية ، ولم تتوقف مدرسة الاسكندرية على اى شخص أو ترتبط بأى عالم أو فيلسوف ، وانما كانت مؤسسة ثقافية تهيىء للباحثين فرصة البحث وللدارسين مهمة الدراسة . انها اشبه بأكاديمية علوم أو معهد عال للأبحاث ، مقره فى ذلك الزمان « المتحف » وباليونانية موزايوم ، ومنه اسم المتحف حديثا كالمتحف المصرى بالقاهرة **Museum** ، غير أن المتاحف الحديثة اصبحت مقرا للآثار القديمة ، فتغير بذلك معناها عن الزمن القديم .

والمتحف معبد أو هيكل لربات الفنون (موزايوس) التسع وهن بنات زيوس ونيموسينى ، وهذه التسع هى

ربة التاريخ ، والشعر الغنائى ، والكوميديا ، والتراجيديا ، والترانيم ، والرقص والموسيقى ، وشعر الغزل ، والفلك ، والشعر الحماسى . وهذا يدل على ان اتجاه المتحف كان فى الاغلب نحو الشعر بانواعه المعروفة فى اليونانية ؛ ولكن شهرة المتحف قامت على العلوم اكثر منها على الآداب والشعر .

بُنى المتحف جزءاً من القصور الملكية ، له طريق عام ، ورواق ذو مظلة تحفه الأرائك ، ينتهى الى بيت واسع يعقد العلماء المتشاركون فى المتحف اجتماعاتهم فى قاعته الكبيرة . وكان يشغل عدة أبنية فى المدينة الملكية المطلة على الميناء ، وهذه الأبنية مهياة لشتى الأغراض العلمية . ويعيش اعضاء المدرسة معاً ، وما يملكونه فهو شركة بينهم ، ويراسهم كاهن كان الملك يعينه فى القديم .

والمتحف ادنى الى أن يكون معهدا للبحوث منه الى ان يكون جامعة او مدرسة . وليس بين يدينا من الوثائق ما يؤيد انه مكان للتعليم . انه تعليم بين استاذ ومعاونيه ، ولم يكن ثمة اذارة او امتحانات ، او درجات جامعية . وكان المتحف مزوداً بالأدوات والأجهزة الفلكية ، وأدوات التشريح ، وحدائق للنبات . ومن الطبيعى أن يستغرق بناء المتحف ونموه زمنا وان يحتاج مع ذلك الى الاستقرار ، وقد كفل له ذلك كله بطليموس الأول والثانى والثالث ، وكان لتجربة ديمتريوس واسطراطون الفضل فى ارساء النظام الوحيد للمتحف ، وكان كل منهما رئيسا لمدرسة عريقة ،

وعالما فاضـــلا . تعـــلم اسطراطون على يد ثاوفراسطس واستدعاه بطليموس ليعلم ابنـــه ســـنة ٣٠٠ ق . م ، واستمر يعمل حتى سنة ٢٨٨ الى ان رجع لرياسة اللوقيون بعد وفاة ثاوفراسطس .

ومن اشـــهر العلماء الذين اقترن اسمهم بمدرســـة الاسكندرية فى عصرها الأول اوقليـــدس وارشميدس ، وابولونيوس ، وابولودورس . تعلم اوقليدس اولا فى اثينا ، ودرس الرياضيات فى الاكاديمية . وعقب اضطراب الأمور فى اثينا ذهب الى الاسكندرية ، وعاش فى ظل بطليموس الأول والثـانى . وتروى عنه اقاصيص كثـيرة نذكر منها ان بطليموس سأله ذات مرة ايوجد طريق اقصر الى الهندسة من طريق « الاصول » ؟ فاجابه : لا يوجـد طريق ملكى للهندسة . و « الأصول » هو الكتاب الذى الفه اوقليدس حاويا كل شيء عن الحساب والهندسة حتى زمانه ، ويعرف باسم « اصول الهندسة » وهذه هى الترجمـــة العربية للعنوان فى عصر الترجمة . وقد ظل هذا الكتاب بترتيب نظرياته الهندسية اساسا لهذا العلم حتى اليـــوم ، نعنى بالنسبة للهندسة الاقليدية . وسائر الرياضيين الذين لمعت اسماؤهم بعد ذلك انما كانوا شراحا لأوقليدس ، واذا كانت لهم اضافات فى هذا الباب فهى فى حل بعض مســـائل ، او ترتيب وتبويب يوضح هذا العلم للطلبة . وقد عرف العرب هؤلاء الرياضيين الذين ظهـروا فى الاسكندرية فى عصرها

المتاخر قبل الفتح ، مثل بابوس عاش فى القرن الثالث بعد الميلاد ، وثاون الاسكندرى من القرن الرابع ، وبرقلوس ومارينوس وكلاهما من القرن الخامس .

ومن كبار الرياضيين فى مدرسة الاسكندرية فى عصرها الأول ، ارشميدس ، وارسطارخوس ، وابوللونيوس . واولهما اشهر من أن يذكر ، ولا يزال طلبة المدارس حتى اليوم يحفظون قاعدته المشهورة فى علم الطبيعة عن الأجسام الطافية .

ومن أشهر علمائها فى عصرها الثانى بطليموس الفلكى صاحب المجسطى . عاش بالاسكندرية فى القرن الثانى بعد الميلاد ، ونبغ فيها ، وكانت مصر قد خضعت للحكم الرومانى وانقرضت دولة البطالسة ، ولكن الثقافة والعلم واللغة استمرت باليونانية . عرف العرب كتابه الذى ترجموه بقولهم « المجسطى » فسار هذا الكتاب بينهم سيرة « اصول » اقليدس . ومن ابرز الأسس التى قام عليها النظام الفلكى فى هذا الكتاب القول بأن الأرض مركز المجموعة الشمسية ، ويعرف هذا بالنظام البطلمى ، وظل ماخوذا به الى ان جاء كوبرنيق فاحدث ثورته المشهورة فى علم الفلك قائلا ان الأرض هى التى تدور حول الشمس .

وقد حدثنا العرب عن مدارس التعليم بالاسكندرية فى عصرها المتاخر ، وقد حفظ لنا مؤرخوهم روايات كثيرة عن تلك المدارس ، ولا حيلة لنا الا الأخذ بها . روى القفطى فى

كتابه اخبار الحكماء ان الاسكندرانيين هم « الذين رتبوا بالاسكندرية دار العلم ومجالس الدرس الطبى ، وكانوا يقرءون كتب جالينوس ويرتبونها على هذا الشكل الذى تقرأ اليوم عليه ، وعملوا لها تفاسير وجوامع تختصر معانيها ويسهل على القارىء حفظها وحملها فى الأسفار . فأولهم — على ما رتبه اسحاق بن حنين — اصطفن الاسكندرانى ، ثم جاسيوس ، وانقيلاؤس ، ومارينوس . فهؤلاء الاربعة عمدة الأطباء الاسكندرانيين ، وهم الذين عملوا الجوامع والتفاسير » .

نقلنا هذا النص على طوله لنبين أن المدارس الفلسفية كانت موجودة بالاسكندرية منذ انشئت حتى الفتح العربى ، ولم ينقطع « دار العلم » أو « مجلس التعليم والدرس » منذ ان كان ذلك فى المتحف وظل فى الأغلب مستمرا فيه الى ان تخرب فى القرن الثالث وظهرت مدارس اخرى ، اذ فى اكبر الظن أن الاسكندرية كانت تحتضن اكثر من مدرسة . ولا بد على كل حال فى التعليم من مقر او دار او مجلس ، بعبارة اخرى من مدرسة ثابتة تشد اليها الرحال .

ولا تحسبن اننا حين قصرنا الحديث على الرياضيين والفلكيين والأطباء قد بعدنا عن موضوع المدارس الفلسفية ، بل ذلك من صميم الفلسفة . لأن الفلسفة فى عصرها الذهبى كانت تعتمد على العلم ، وكان الفلاسفة علماء . وحين انشىء المتحف نهض بانشائه رئيسا اللوقيين ، وهما اللذان وجهاه

هذه الوجهة العلمية . وعندما انتقلت الفلسفة الى العرب كان فلاسفتهم علماء أو أطباء أو رياضيين وجمعوا بين العلم والفلسفة ، مثل ابن سينا وابن رشد .

لم يكن المتحف مقر مدرسة الاسكندرية وحده وانما انشىء معه شىء آخر لا تتم المدارس الا به ، وهذا الشىء هو المكتبة . وقد عرفت المكتبات من قبل انشاء الاسكندرية ، وبخاصة فى اثينا كعبة الثقافة العالمية منذ القرن الخامس قبل الميلاد . ثم شرعت مدن أخرى تحذو حذوها وتنشىء مكتبات تحتفظ فيها بمؤلفات الشعراء والادباء والعلماء والفلاسفة . ولم يشأ بطليموس الأول ان تكون عاصمة ملكه اقل شأنا من غيرها من المدن ، فأمر بانشاء مكتبة ظفرت فى المستقبل بشهرة عظيمة لكثرة ما كانت تحتوى عليه من مؤلفات .

اسس المكتبة ديمتريوس الفاليرى (من مدينة فاليرون فى اتيكا) ، عاش الشطر الأكبر من حياته فى القرن الرابع ، كان تلميذ ثاوفراسطس ، واشتغل بالسياسة واصبح حاكم اثينا من سنة ٣١٧ الى ٣٠٧ ، ثم نفى من اثينا فرحب به بطليموس وعهد اليه بانشاء المكتبة ، التى استغرقت زمنا ورعاية وعناية لاستكمالها ، بغية الحصول على الكتب المختلفة فى شتى الفنون .

كانت هيئة الكتاب مختلفة اختلافا بينا عن هيئته المألوفة لنا فى الوقت الحاضر . كتاب اليوم مطبوع على ورق رقيق

وفى حجم دقيق . وكتاب الأمس مخطوط على ورق البردى وحجمه كبـــير . كانت الكتب عبارة عن لفائف من ورق البردى ، ولذلك كانت تشغل مكانا واسعاً ، وبخاصة اذا اشتملت المكتبة على آلاف كثيرة من الكتب . وقد بلغ عدد ما فى مكتبـــة الاسكندرية ٢٠٠,٠٠٠ فى عهـــد مؤسسها بطليموس الاول ، ونمت حتى بلغ عدد كتبهـــا ٧٠٠,٠٠٠ زمان يوليوس قيصر .

فكيف تسنى جمع هذا العدد الغزير ؟ لقد اتخذ ملوك البطالسة كل سبيل للحصول على الكتاب ، ولم يبخلوا بمال او سلطان . ومن هذه الوسائل أن بطليموس الثالث اصدر امره بان يؤخذ من كل وافد فى البحر ما معه من كتب ، فاذا لم تكن موجودة بالمكتبة اخذت منه واعطى بدلها نسخة يقوم النساخ بانجازها . وكان لرؤساء المكتبة الفضل الاكبر فى اكتسابها هذه السمعة الطيبة . وهذه قائمة باسماء الأوائل منهم :

١ ــ ديمتريوس الفاليرى	٢٨٤ ق . م
٢ ــ زنودوتس الافسوسى	٢٨٤ ــ ٢٦٠
٣ ــ كاليماخوس القورينائى	٢٦٠ ــ ٢٤٠
٤ ــ ابولونيوس الروديسى	٢٤٠ ــ ٢٣٥
٥ ــ اراتستنس القورينائى	٢٣٥ ــ ١٩٥
٦ ــ ارستوفانس البيزنطى	١٩٥ ــ ١٨٠

٧ ـ ابولونيوس ايدوجرافس ١٨٠ ـ ١٦٠
٨ ـ ارســـطارخس ١٦٠ ـ ١٤٥

ونود أن نقف بعض الشيء عند اثنـــين كاليماخوس واراتستينس ، لأن الحديث عنهما يعرج بنا على مدرسة فلسفية هى المدرسة القورينائية . سميت كذلك نسبة الى « قورينا » فى ليبيا ، ومكانها الآن مدينة شحات . انشا المدينة مهاجرون من جزيرة كريت فى القرن الســابع فى الجبل وعلى مقربة من البحر ، وجعلوها بما شيدوه من معبد وملعب (جمنزيوم) ومحكمة وغير ذلك مدينة يونانية تماما . وقامت بها مدرسة فلسفية اسسها ارستبوس صاحب المذهب الاخلاقى الذى اشتهر بالاقبال على اللذة ، وحقيقة المذهب انه يهدى المرء الى « فن الحياة » . وفى قورينا عمل ثيودورس الرياضى الذى تعلم فى اثينا ، وعاد الى موطنه ، وزاره افلاطون فى شـــبابه وعاش معه زمنا . ويبدو ان المدرســـة جمعت بين الدراســـات الادبية والفلســـفية والرياضية ، فكان اراتستينس من اشهر الرياضيين .

ولد كاليماخوس بقورينا حول سنة ٣٠٠ ، وبها درس ، ثم اكمل تعليمه فى اثينا ، وعين رئيسا لمكتبة الاسكندرية سنة ٢٦٠ وتوفى ٢٤٠ . وهو الذى صنف كتب المكتبة ، وعمل كتالوجا قسمه ثمانية اقســـام بحسب المؤلفين : (١) شـــعراء الدراما (٢) شـــعراء الحماسة والغناء (٣) المشرعون (٤) الفلاسفة (٥) المؤرخون (٦) الخطباء

(٧) البلغاء (٨)منوعات . واكبر الظن أن الرياضيين والأطباء والعلماء كانوا تحت القسم الخاص بالفلاسفة .

عاش اراتستينس (٢٧٦ ــ ١٩٤) فى القرن الثالث ، تعلم بقورينا ثم درس فى اثينا ، واختص بالرياضيات والفلك والجغرافيا دعاه بطليموس الثالث وعينه عضوا بالمتحف ، ثم رئيس المكتبة سنة ٢٣٥ واستمر بها الى ان توفى اى زهاء اربعين عاماً . وقد اشتهر اراتستينس بأن قياسه لمحيط الأرض كان اقرب قياس الى الصواب ، وذلك على أساس قياس المسافة بين الاسكندرية واسوان وهى مسافة معروفة ، واعتباره ان اسوان تقع على مدار السرطان ، اى خط عرض ٢٣ تقريبا . وهنا يحق لنا التساؤل عن الصلة بين المتحف والمكتبة ، فقد راينا علماء شغلوا منصب الرياسة بالمكتبة ، ولعلهم مارسوا نشاطهم العلمى بها . واكبر الظن أن المكتبة ولو انها كانت مستقلة الا انها كانت تخدم المتحف الذى يستعين علماؤه بما فيها من مؤلفات . مهما يكن من شىء ليس بين ايدينا ما يلقى ضوءاً على هذه الصلة .

مرت بالمكتبة محن كثيرة انتهت الى زوالها . واول محنة اصابتها عند حصار يوليوس قيصر للاسكندرية ، وكانت المكتبة عامرة مزدهرة ، فلما احرق قيصر الميناء امتدت السنة النيران الى المكتبة . ويقال ان انطونيو وهب كليوبطرا ٢٠٠,٠٠٠ كتاب من برجام سنة ٤١ ق.م ، تعويضا لما فقد منها .

ولما بدأ ساعد المسيحية يشتد شيئا فشيئا منذ القرن الثـانى ، كان المسيحيون يعتقـــدون أن المكتبة والمتحف جناحان لقلعة الكفر والالحاد . ونحن نعلم أن المسيحية لقيت عناء شديدا فى مكافحة الوثنية القائمة على الفلسفة اليونانية ، وكان الصراع بين المسيحية دينـــا ، والوثنية ثقافة وادبا وفلسفة صراعاً مراً لم تستطع المسيحية ان تتغلب عليها الا فى القرن الرابع ، وحين تنصر الأباطرة انفسهم فايدوا الدين بسلطان الدولة . وقد دمرت المكتبة فى عهد الامبراطور ثيودوسيوس وذلك بأمر البطريق ثيوفيل بطريق الاسكندرية (٣٨٥ ــ ٤١٢) الذى كان معاديا للوثنية . وقد شاع أن عمر بن الخطاب هو الذى امر عامله عمرو بن العاص بحرق المكتبة ، وهى قصة العرب منها براء ، لان المكتبة كما راينا لم يكن لها وجود عند الفتح العربى .

ومن المعروف تاريخيا أن ثمة مدارس فلسفية مسيحية نشأت فى الاسكندرية ، واستطاعت هذه التعاليم المنظمة أن تكافح وثنية اليونان . واقدم هذه المدارس تلك التى انشأها بنتينس (Pantaenus) الذى راس المدرســـة الرواقية فى الاسكندرية ، وكان قد تحول الى المســـيحية . ثم تولى رياسة هذه المدرسة كليمنت الاسكندرى ، ولد بالاسكندرية ١٥٠ ق . م ، وتحول الى المسيحية بعد أن درس فى عدة مدن ، واعجبه تعليم بنتينس فتبعه ، وراس المدرســـة

سنة ٢٠٠ ق . م . ومن هذه المدرسة ظهر اوريجين الذى اخذ من كليمنت من جهة ، ومن امونيوس سكاس من جهة اخرى . ويعد اوريجين مؤسس الافلاطونية المحدثة فى رواية ، كما يعد امونيوس سكاس (١٧٥ — ٢٥٠) هو المؤسس فى رواية اخرى . ولد امونيوس من أبوين مسيحيين ، ولكنه ارتد عن المسيحية الى الفلسفة اليونانية وديانتها . وكانت تعاليمه شفوية سماعية ، ويقال أنه وفق بين تعاليم افلاطون وارسطو .

مدرسة أفلوطين

اذا كانت بوادر الافلاطونية المحدثة بدات من اوريجين ، فان حامل لوائها بمعنى الكلمة هو افلوطين . وعلى الرغم من ان مدرسته كانت فى روما الا انه يعد من مدرسة الاسكندرية ، فهو فيلسوف أسكندرانى ، واكثر من هذا فهو مصرى .

ولد فى ليقوبوليس — وهى اسيوط حاليا — بمصر الوسطى ، سنة ٢٠٥ وتوفى ٢٧٠ بعد الميلاد . ولا ندرى شيئا عن نشاته الاولى واسرته ، لانه كما يقول تلميذه فرفريوس الصورى ، كان يابى ان يتحدث عن آبائه واقربائه وموطنه . وفرفريوس هو الوحيد الذى كتب سيرة افلوطين ، وهو الذى نشر تاسوعاته ، وسنتكلم عنه بعد حديثنا عن افلوطين ، وما نعرضه الان عن افلوطين مستمد مما دونه فرفريوس ، فلا حاجة للاشارة الى الموضع الذى اخذنا عنه . قال فرفريوس :

على الرغم من امتناعه بوجه عام عن الحديث عن حياته الخاصة الا انه روى لنا بعض التفصيلات خلال احاديثه

معنا . ففى الثامنة والعشرين من عمـــره اصابته حمى الفلسفة فاتجه الى ابرز معلميها بالاسكندرية ، الا انه كان يعود بعد الاستماع الى محاضراتهم حزينا مهيض الجناح . فلما رأى احد أصدقائه ما هو عليه من خيبـــة أمل وكان يعرف مزاجه صحبه الى امونيوس الذى لم يكن قد حضر عليه بعد . وبعد أن سمع افلوطين محاضراته قال لصاحبه متعجبا : « هذا هو الرجل الذى كنت أنشده » .

ومنذ ذلك اليوم استمر يتبع أمونيوس حتى بلغ من تقدمه فى الفلسفة أنه رغب فى الاطلاع على مناهج الفرس والمذهب السائد بين حكماء الهند . وصادف ان الامبراطور جورديان كان يعـــد حملة يجردها على الفـــرس فالتحق افلوطين بالجيش وذهب مع الحملة ، وكان عنـــد ذلك فى التاسعة والثلاثين من العمر ، اذ كان قد أمضى احد عشر عاما فى صحبة أمونيوس . وانهزم الجيش فى العراق وقتـــل الامبراطور وهرب افلوطين الى انطاكية ثم ذهب الى روما واستقر بها وهو فى الأربعين من العمر .

كانت روما عاصمة الامبراطورية وقلب العالم المتحضر فى ذلك الزمان ، فاجتذبت اليها عدداً من العلماء والفلاسفة والأدباء . فى هذه العاصمة انشأ افلوطين مدرسته ، التى ظفرت بتأييد الامبراطور ، فكفاه بذلك مؤونة الانفاق على المدرسة . ولم تقتصر المدرسة على الامبراطور جاليانوس الذى حكم من ٢٦٠ الى ٢٦٨ ، وكان أديبا فيلسوفا ، بل

شاركته زوجته الحضور على افلوطين . ويبدو أن المدرسة كانت تستقبل النساء كما تستقبل الرجال ، واحداهن سيدة تدعى « جمسانا » كان افلوطين يسكن فى دارها . ويبدو كذلك أن المدرسة كانت تفتح ابوابها لكل طالب ، فقد ذكر فرفريوس فى السيرة التى كتبها عن افلوطين انه كان يمتنع من الجلوس أمام المصورين او النحاتين ليرسموا صورته او ينحتوا له تمثالا ، حتى ان تلميذه اميليوس حين طلب منه ان يسمح بالوقوف أمام مصور ، أجابه : « الا يكفى ان نحمل هذه الصورة التى قيدتنا الطبيعة فيها ؟ أتحسب حقا اننى يجب أن أرضى بأن اترك لخلفى صورة للصورة » فلما ابى افلوطين عهد اميليوس الى صديق له اسمه « كاتريوس » يجيد الرسم ، فادخله الى المدرسة يستمع الى دروس افلوطين ، وكانت الدروس مباحة لكل طالب .

كان هدف افلوطين من المدرسة أن تكون نبراسا يهدى النفوس الى التقوى والصلاح والخير ، فكان يصرف تلاميذه عن الاشتغال بأمور الدنيا ، ويحملهم على حياة من الزهد توصل الى شفاء النفس بالتجرد عن جميع العلائق وامانة سائر الشهوات . وكان هو نفسه مهملا امر جسده محتقرا اياه ، ممتنعا عن أكل اللحم . وقد استهوت هذه التعاليم كثيرا من التلاميذ حتى ان « روجاتيانوس » عضو الشيوخ نزل عن املاكه وأمواله وعبيده والقابه ، وسار فى طريق الزهد حتى اصبح لا ياكل الا مرة واحدة كل يومين . وكان

للناس ـ رجالا ونساء ـ فيه اعتقاد عظيم ، حتى انهم عندما كانت تحضرهم الوفاة يعهدون بأبنائهم وبناتهم وما يملكون لرعايته ووصايته ، فكان منزله يعج بالصبيان والبنات ، وكان الى ذلك يقوم بتعليمهم الادب والشعر ، ويأخذ بيدهم الى طريق الفلسفة ، ويحتفظ بأموالهم لا يمسها حتى يبلغوا مبلغ الرجال وسن الرشد .

وكانت المدينة الفاضلة الحلم الذى راود معظم الفلاسفة اليونانيين ، وعلى راسهم افلاطون صاحب الجمهورية او المدينة الفاضلة المثالية . وانتهز افلوطين فرصة منزلته عند الامبراطور جاليانوس وزوجته سالونينا ، تلك المنزلة التى كادت تبلغ التقديس والعبادة ، فطلب منهما أن يعيش هو واتباعه فى « كامبانيا » التى كانت فيما يروى مدينة للفلاسفة فى قديم الزمان ثم تهدمت وخربت . ورأى افلوطين اعادة بناء المدينة ، وأن يعيش السكان فى ظل القوانين التى يضعها لهم ، ويسمى المدينة « فلاطونوبوليس » Platonopolis . ومعنى بوليس Polis باليونانية مدينة ، ومنها هليوبوليس احدى ضواحى القاهرة ، ومعناها مدينة الشمس . وعزم افلوطين الاقامة مع اتباعه فى تلك المدينة لولا أن حساده فى البلاط حالوا بين الامبراطور وبين تنفيذ وعده .

وكان بالمدرسة تلاميذ كثيرون ، الا أن اشهرهم كان أميليوس ، وكذلك طبيب من الاسكندرية اسمه اسطوخيوس

لزم افلوطين فى أواخر حياته الى أن توفى ، واتبع مذهب افلوطين واصبح فيلسوفا على الحقيقة . هـذا الى جانب فرفريوس كاتب هذه السيرة ، والذى عهد اليه افلوطين بمراجعة كتابه ونشره . وكان افلوطين فى التاسعة والخمسين عندما اتصل به فرفريوس قادما من اثينا . وظل افلوطين زهاء عشر سنوات لا يدون شيئا ولا يكتب فلسفته ، بل يتحاور مع جماعة من الاصحاب على أساس ما تعلمه من امونيوس . ويمضى فرفريوس فى روايته بعـد ذلك قائلا : اننى حين اول ما التقيت به كان قد ألف خمسا وعشرين مقالة ـ وستسمى المقالة فيما بعد تاسوعا ـ حصلت عليها على الرغم من انه لم يعطها الا لعدد قليل جدا . الحق انها وزعت بعناية شديدة ، ولم يضع افلوطين لهذه المقالات عناوين ، فاجتهد كل من حصل عليها ان يضع لها العنوان المناسب . وظللت على صلة وثيقة به مدة ست سنوات ؛ والف بعد ذلك اربعا وعشرين مقالة اخرى ، ثم ارسل لى حين كنت بصقلية وقبل وفاته بمدة قصيرة اربعا اخرى ، فأصبحت جملتها اربعا وخمسين . وعندما نشر فرفريوس هذه المقالات قسمها ستة اجزاء ، فى كل جزء تسع مقالات ، ومن هنا جاء اسمها وهو تاسوعات افلوطين . وقد نقل بعضها فى عصر الترجمة ، وسـميت كتاب « الربوبية » ونسبت خطأ لارسطو ، قام بالترجمة ابن ناعمة الحمصى وصححها يعقوب الكندى .

ويمضى فرفريوس قائلا : وكان لابد لى من مراجعة ما كتبه ، لأنه لم يكن يطيق اعادة قراءة ما كتب ، ولم تكن حالة بصره تسمح له بذلك . كان خطه رديئا ، يسيء الربط بين الألفاظ ولا يعنى بقواعد الاملاء ، لأن عنايته الوحيدة اتجهت نحو الفكرة ، وقد لزمته هذه العادات طول حياته . وقد تعود أن يتصفح خطة بحثه فى ذهنه من أولها الى آخرها حتى اذا جلس لتدوينها جرى القلم على الورق بما احتفظ به فى ذهنه بجرة واحدة وكأنه ينسخ من كتاب مفتوح . واذا عرض له أن يتحدث مع شخص ما أقبل عليه بكل حواسه مع الاحتفاظ بتسلسل فكره واضحا أمام ذهنه . حتى اذا انصرف محدثه ، لا يرجع ابدا الى ما سبق أن كتبه ، بل يصل ما انقطع وكأن شيئا لم يصرفه عن التفكير . وهكذا كان يعيش فى داخل نفسه ومع الآخرين فى آن واحد .

أما فى محاضراته فكان بارعا فى العرض مع قدرة فائقة على الابتكار والفهم . وهو حين يتكلم كان نور عقله يضيء وجهه بشكل واضح . وكان على استعداد أن يتلقى الاعتراضات ويجيب عنها بنفس القوة التى وجهت اليه . وقد استمر فرفريوس يوجه اليه مدة ثلاثة أيام أسئلة عن ارتباط النفس بالبدن ، واستمر يجيب عنها بغير انقطاع . كان موجز الأسلوب ، مركز الفكر ، معناه أوسع من لفظه ، ملهما فى تعبيره . وقد جمع فى كتاباته بين مذاهب الرواقية

والمشائية مدمجا بوجه خاص فيها ميتافيزيقا ارسطو . حصل العلم النظرى بالهندسة والميكانيكا والبصريات والموسيقى ، غير أنه لم يكن على استعداد للمضى فى دراستها دراسة تامة عميقة .

وطريقته فى التعليم فى اثناء المحاضرات ان تقرأ رسائل المؤلفين بصوت عال ؛ من الافلاطونيين سفيروس او كرونيوس ، أو كايوس ، او اتيكوس . ومن المشائين اسباسيوس ، والاسكندر ، واوراستوس وغيرهم . ولكنه لم يتبع اى واحد منهم اتباعا اعمى ، بل اتخذ لنفسه وجهة نظر شخصية مبتكرة مطبقا منهج امونيوس فى فحص المسائل .

حدث ذات يوم ان حضر أوريجين فى حجرة درسه ، فاحمر وجه افلوطين واوشك ان ينهى المحاضرة . فلما رغب اليه أوريجين أن يستمر اجابه : ان نار الحماسة لتخبو حين يشعر المتكلم أن السامعين لن يتعلموا منه شيئا .

واليك حكم لونجينوس ـ احد فلاسفة ذلك العصر كان يعيش ويعلم فى اثينا ـ على افلوطين ، من خطاب له ارسله الى فرفريوس . قال : عندما كنت صبيا افسحت رحلات والدى الطويلة لى فرصة رؤية افضل معلمى الفلسفة ، وظللت على اتصال بجميع الاحياء منهم فى المدن التى كنت ارحل اليها . كان بعضهم يصوغ افكاره فى مؤلفات يتركها لفائدة الخلف ، وكان بعضهم الآخر يقنع بأن يفهم منه

السامعون . وممن لم يكتب امونيوس واوريجين ، وقد حضرت عليهما بنفسي واعترف بامتيازهما على اقرانهما . وهناك كذلك فى اثينا ثيودورس ويوبولس . وممن كتب من الافلاطونيين اقليدس وديمقريطس وبرقلينوس ، ثم اثنان لا يزالان يعلمان الفلسفة فى روما وهما افلوطين وصاحبه اميليوس . وهذان وحدهما يظهر عليهما الروح الصادقة لصناعة التاليف فى المسائل التى يعالجانها . ويبدو أن افلوطين يلقى على مبادىء فيثاغورس وافلاطون ضوءا اسطع من اى فيلسوف سبقه . ويحذو اميليوس عن قصد حذو افلوطين وقد اصطنع معظم آرائه .

يتضح من ذلك ان حياة المدرسة كانت شديدة الجدل مع سيادة روح البحث الحر ، وان الطلبة كانوا يتعلمون كتابة المقالات وانشاء الرسائل . هذا الى قراءة نصوص الفلاسفة وشرحها والتعليق عليها . وكان الطلبة يقرءون ابحاثهم ويناقشون فيها علانية . والى جانب ذلك تراسلت المدارس من شتى المدن فيما بينها ، يتبادل الاساتذة والطلبة الافكار ويتحاورون على البعد كما رأينا فى المراسلات بين لونجينوس وفرفريوس . وهكذا استطاع افلوطين باصالة تفكيره ان يجدد الافلاطونية وان يمزج بينها وبين المشائية والرواقية والفيثاغورية ، وان يخرج بمذهب جديد ، ومدرسة جديدة ، تعد آخر المدارس الفلسفية اليونانية .

الجديد فى هذه الفلسفة منهجها ، ونظرتها الى النفس ، وتفسيرها للوجود . منهجها التأمل فى باطن النفس ، والترقى الى آفاق أعلى بطريق الجدل صعودا حتى تبلغ النفس منبع النور والبهاء ، ثم تهبط بعد ذلك وقد استفادت من الحق . وقد كان الجدل منهج أفلاطون ، ولكن جدل أفلوطين مختلف عنه من حيث اعتماده اعتمادا مطلقا على التأمل الباطن ، واستخلاص الحقائق من النفس ذاتها ، على حين ان جدل أفلاطون كان يبدأ من المحسوسات ومن المباحث فى الرياضة والنظر الى الأشكال الرياضية ليصعد منها الى المثل ، الى الصور المجردة ، ثم يهبط بعد ذلك الى العالم المحسوس بعد أن يكون الفيلسوف قد عرف المثل ليصلح من حال المدينة . لم يكن أفلاطون هاربا من عالم الواقع ، هائما فى عالم المعقولات ، كلا كان هربه مؤقتا ليعود مرة أخرى الى الواقع يصلح من أمره ، ويحقق فيه الخير والعدل . أما أفلوطين ، فان الظروف السياسية والاجتماعية التى سادت العالم فى زمانه ، مع بداية انهيار الامبراطورية الرومانية وانتشار الفساد مع كثرة الحروب التى خربت البلاد ، جعلته يهرب من ذلك العالم الذى فقد الناس الأمل فى صلاحه الى عالم آخر ، اما بالانطواء داخل النفس ، واما بالرجاء فى حياة اخرى أسعد من الحياة الدنيا . وقد قال أفلوطين بالطريقين ، أن يحصر الانسان نفسه فى داخل نفسه وينطوى عليها ويزهد فى مباهج الحياة الدنيا كما رأينا

من سيرته ، وأن يسعى الى السعادة فى الحياة الآخرة . ولا شك ان المسيحية التى كانت معاصرة لفلسفة افلوطين قد تأثرت بتعاليمه ، كما تأثر مذهبه بآراء فلاسفة المسيحيين الذين ظهروا فى الاسكندرية .

ويختلف الأساس الفلسفى عند افلوطين عن الأساس الذى قامت عليه الفلسفة اليونانية من قبل الى افلاطون وأرسطو . حاولت الفلسفة اليونانية تفسير الوجود ، أى بيان كيفية وجود الموجودات ، فذهب بارمنيدس أن الوجود موجود ، أى انه حقيقة أولية لا تحتاج الى اثبات ، وعند افلاطون أن الوجود نوعان معقول ومحسوس ، وأن الوجود المعقول ـ نعنى عالم المثل ـ أصل الوجود المحسوس . ولكن الموجودات المحسوسة التى نشهدها فى هذا العالم ليست الا ظلالا وأوهاما ، اما الحقيقة فهى امثال هذه الموجودات . والمثال معقول . ولذلك كانت فلسفة افلاطون مثالية . ولما جاء ارسطو لم يفصل هذا الفصل فى الوجود بين عالمين ، بل قال ان الموجود مركب من مبدأين المادة والصورة . صفوة القول الفلسفية اليونانية فلسفة وجود ، وتعريف ارسطو للفلسفة الأولى ـ او الميتافيزيقا ـ أنها هى العلم بالموجود من حيث هو موجود .

اما فلسفة افلوطين فهى فلسفة واحد .

الواحد فى قمة الوجود ، وأعلى منه ، وعن الواحد يصدر العقل ، وعن العقل تصدر النفس . وهكذا يبدأ

افلوطين بثالوث متدرج فى القيمة ، على راسه « الواحد » . ومن هنا كانت فلسفته مختلفة عن افلاطون وارسطو . اما مفهوم الواحد عنده فليس واضحا متميزا ، فهو تارة الله ، وهو تارة اخرى الخير ، وهو تارة ثالثة الأول . مهما يكن من شيء فان الواحد اعلى من الوجود .

اذن كيف جاء الوجود عن الواحد ؟ أول موجود صدر عن الواحد هو العقل ، فاض عنه لأنه صورة من الواحد ، او شبح له ، ثم يصدر عن العقل النفس التى هى صورة ادنى من العقل .

ولكن كيف يعرف الانسان انه جزء من النفس الكلية ، وكيف وصل الى معرفة العقل ومعرفة العالم الالهى الذى هو فوق العقل ؟ فلنترك افلوطين يحدثنا عن هذه المعرفة التى تتم بطريق الجذل ، وذلك من الترجمة العربية القديمة التى اصلحها الكندى . قال :

« انى ربما خلوت بنفسى ، وخلعت بدنى جانبا ، وصرت كانى جوهر متجرد بلا بدن ، فاكون داخلا فى ذاتى ، راجعا اليها ، خارجا من سائر الأشـــياء ، فاكون العلم والعالم والمعلوم جميعا . فارى فى ذاتى من الحسن والبهاء والضياء ما ابقى له متعجبا بهتا ، فأعلم انى جزء من اجزاء العـالم الفاضل الشريف الالهى ، ذو حياة فعالة . فلما ايقنت بذلك ترقيت بذاتى من ذلك العالم الى العالم الالهى فصرت كانى موضوع فيه ، متعلق به ، فاكون فوق العالم العقلى كله ،

فارى كانى واقف فى ذلك الموقف الشريف الالهى ، فارى هناك من النور والبهاء ما لا تقدر الالسن على صفته ولا تعيه الاسماع . فاذا استغرقنى ذلك النور والبهاء ، ولم اقو على احتماله ، هبطت من العقل الى الفكرة والرؤية ، فاذا صرت فى عالم الفكرة والرؤية حجبت الفكرة عنى ذلك النور والبهاء ، فأبقى متعجبا كيف انحدرت من ذلك الموضع الشامخ الالهى ، وصرت فى موضع الفكرة ... »

لقد عرفت الفلسفة الاسلامية افلوطين عن هذا الكتاب ، ولكنه نسب خطأ الى ارسطو ، وكان ذلك علة التوفيق بين الحكيمين افلاطون وارسطو ابتداء من الفارابى الى ابن سينا ، فقالوا بمراتب الوجود وتسلسلها عن الاول .

وبعد وفاة افلوطين خلفه فى رياسة المدرسة بروما تلميذه وناشر التاسوعات وهو فرفريوس الصورى . (٢٣٢ — ٣٠٥) . ولد بصور وأمضى شبابه بها ، وحصّل كثيرا من المعارف الدينية والفلسفية فى فلسطين وسوريا ، ثم ذهب الى اثينا وتعلم على لونجينوس ، وانتقل الى روما حيث التحق بمدرسة افلوطين ، وتولى رياستها بعد موته ، وتمتع بشهرة واسعة وسمعة طيبة وحضر عليه كثير من الطلبة منهم « يامبليخوس » الذى يعد من اشهر الأفلاطونيين المحدثين فى سوريا .

عرف فرفريوس فى العالم العربى منذ عصر التراجمة واستمر يؤثر فى الفلسفة العربية بكتاب له يسمى

« ايساغوجى » سنعود الى الحديث عنه بعد قليل . فاذا كان العرب قد جهلوا أفلوطين بسبب ذلك الخلط الذى وقع فى ترجمة كتابه ، فقد عرفوا تلميذه معرفة وثيقة ، وقبلوا بعض آرائه ورفضوا بعضها الآخر . ومهما يكن من شىء فان آراء فرفريوس فى جملتها امتداد لآراء أستاذه ، ولو أنه نحا بها نحوا آخر . ولهذه الشهرة عند العرب نطيل فى عرض مذهبه بعض الشىء .

له مؤلفات كثيرة منها « فلسفة الكهانة » يصور فيه العبادات الدينية فى هياكل الوثنيين بحسب ما كانت تمارس عند المصريين والكلدانيين والسريان . ومنها «صور الآلهة» يدافع فيه عن الوثنية ويبين أن عبادة الأصنام لا تنطوى على كفر كما يزعم المسيحيون واليهود ، لأنها رموز محسوسة تقرب الى الاله وله كتاب « الرد على النصارى » يبدو انه كتبه بدافع سياسى لأن الامبراطور فى روما اصبح يخشى تزايد قوة المسيحيين الى جانب المحنة التى كانت الامبراطورية تمر بها من شيوع البؤس والفقر والخراب وتهديد الولايات بالانفصال وانقضاض البرابرة على أطراف الامبراطورية تمر بها من شيوع البؤس والفقر والخراب الفلسفة اليونانية وهى القائمة على العقل على الدين المستند الى الايمان . وله كذلك رسالة « فى الرد على أنابو » وهو كاهن مصرى ، يرد فيه على عقائد قدماء المصريين منعليا شان الفلسفة .

كان افلوطين قد تكلم فى خلود النفس وقدم ادلة جديدة خلاف أدلة افلاطون التى ذكرها فى محاورة فيدون ، فقال فى التاسوعات ان النفس « ليست بجرم وانها لا تموت ولا تفسد ولا تفنى بل هى باقية دائمة » وأن النفس النقية الطاهرة التى لم تدنس بأوساخ البدن هى التى اذا فارقت تعود الى الجوهر النفسانى الأعلى أما التى تتصل بالبدن وتخضع لشهواته فاذا فارقت لم تصل الى عالمها الا بتعب شديد. ومعنى ذلك ان النفس ـ كماذكرنا من قبل ـ متوسطة بين عالم العقل وعالم الهيولى ، فاذا شغلت بالنظر العقلى اتصلت بعالم العقل ، واذا انغمست فى الشهوات هبطت الى عالم الهيولى . وهذا هو رأى فرفريوس كذلك الا انه بدلا من الحياة العقلية الصرفة ينادى بممارسة العبادات والطقوس وطهارة النفس بالزهد والامتناع عن الشهوات .

وكان افلوطين مثل معظم الفلاسفة الاقدمين يميز بين العالم المحسوس والمعقول ، ولكنه تميز عن السابقين بمنهجه الجدلى الذى يتأمل فى باطن النفس ليصعد من ذلك الى عالم العقل ، وفى ذلك يقول : « ان من قدر على خلع بدنه ، وتسكين حواسه ووساوسه وحركاته ، قدر أيضا فى فكرته على الرجوع الى ذاته ، والصعود بعقله الى العالم العقلى ... » (الربوبية ص ٤٤) . فأفلوطين كما نرى لا يخلط بين النفس والعقل ، ولا يقول الا بالتأمل والنظر . أما فرفريوس فانه يشترط فضائل عملية من زهد وامتناع

عن اكل اللحـــوم وغير ذلك كى تصـــعد النفس الى عالم المعقولات . ويبدو انه كان يقول « ان ذات النفس تصير هى المعقولات » ، ولذلك اعترض عليه ابن ســـينا فقال : « فهذا من جملة ما يستحيل عندى . فانى لســـت افهم قولهم ان شيئا يصير شيئا آخر ، ولا اعقل ان ذلك كيف يكون ... ، واكثر ما هوس الناس فى هذا هو الذى صنف لهم ايساغوجى ، وكان حريصا على ان يتكلم بأقوال مخيلة شعرية صوفية يقتصر منها لنفسه ولغيره على التخيل ؛ ويدرس اهل التمييز على ذلك كتبه فى العقـل والمعقولات وكتبه فى النفس » .

والذى صنف ايساغوجى هو فرفريوس ، وايساغوجى باللغة اليونانية تعنى المقدمة او المدخل . وكتابه المدخل الى مقولات ارسطو ، الفه لتلميذه خريساريوس الذى كان يطلب العلم فى مدرسة افلوطين ، وهو احد اعضاء مجلس الشيوخ فى روما ، قرأ مقولات ارسطو فعجز عن فهمها ، فكتب الى فرفريوس وهو فى صقلية يقص عليه أمره ويطلب عونه ، فصنف له مدخلا الى المقولات يشرح فيه الكليات الخمسة وهى الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض العام ، فاشتهر الكتاب الصغير حتى وصـــفه العرب بانه « سار مسير الشمس حتى يومنا هذا » .

ومعنى المقولة : ما يقـــال عن الشىء ؛ وهذا فى غاية الاهمية فى تعريف الشىء وتحديد ماهيته . ماذا نقول عن

سقراط ؟ (١) انسان ، (٢) طويل (٣) ابيض (٤) فى الدار .. الى آخر المقولات العشر ، انسان مقولة الجوهر ، طويل مقولة الكم ، ابيض مقولة الكيف ، وهكذا . والمقولات العشر ضرب من تصنيف الموجودات . أما الكليات الخمس : الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض العام ، فانها ضرورية للتعريف والقسمة والبرهان . فانت تقول الانسان : حيوان ناطق ، وهو التعريف المشهور ، فانسان نوع ، وحيوان جنس ، وناطق فصل . وهذا التعريف يسمى الحد التام . والقسمة تقتضى تمييز الكلى الى اجزائه ، ومنها القسمة الثنائية ، وهناك تقسيم للموجودات مشهور ، يعرف « بشجرة فرفريوس » نسبة اليه ، وهى على النحو الآتى :

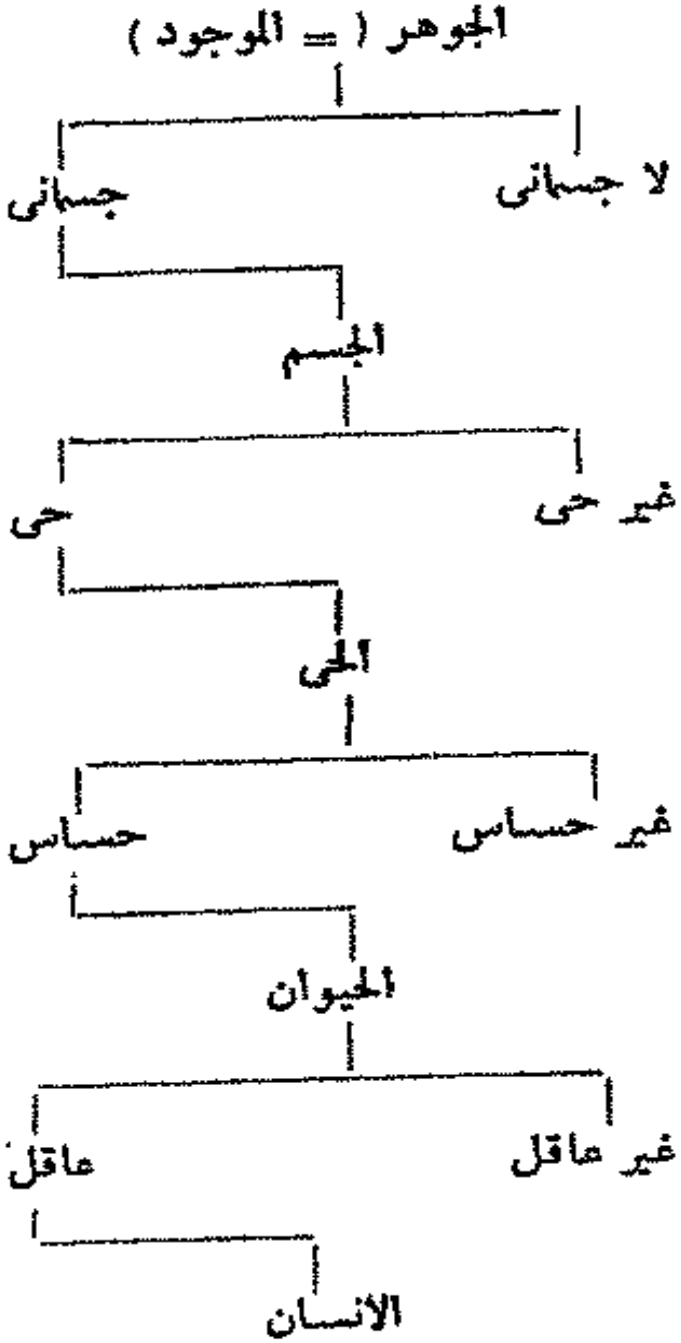
الجوهر (= الموجود)
لا جسمانى
جسمانى
الجسم
غير حى
حى
الحى
غير حساس
حساس
الحيوان
غير عاقل
عاقل
الانسان

وهكذا دخـــل فرفريوس تاريخ الفلســـفة بمدخله وشجرته .

وبمـــوته قفلت المدرســـة ابوابها ، ان فى روما او الاسكندرية ، وانتقلت بروحها الى الشرق مرة اخـرى ، فظهر يامبليخوس (٢٧٠ ــ ٣٣٠) شارح افلاطون وارسطو مع ميل الى الافلاطونية الحديثة ، ثم برقليس او بروقلوس (٤١٠ ــ ٤٨٥) الذى تعلم بالاسكندرية ثم عاد الى اثينا فراس الاكاديمية ، ومزج بين الفلسفة والعلم الرياضى وحذا حذو الافلاطونيـــة المحدثة ، واشتهر عند الاســـلاميين والمسيحيين على السواء فى العصر الوسيط .

مدرسة جندي سابور

انها همزة الوصل بين الفلسفة اليونانية والعربيـــة ، على الرغم من انها تقع فى فارس . اما كيف انتقلت الفلسفة اليونانية اليها ، وبخاصة الفلسفة الاسكندرانية التى تميزت بنزعتها العلمية ، فلذلك قصة يجدر بنا ان نرويها .

لم ينقطـع النزاع بين الفرس واليونان بعد خضـوع اليونان لروما مع اتساع الدولة الرومانية اذ انتقل هذاالنزاع فاصبح بين الفرس والرومان . وكان للرومان الغلبة دائما حين كانت الامبراطورية قوية ، فلما بدات تضـعف وتتفكك انعكست الآية وانهزمت جيوشها أمام جحافل الفرس . وقد أشرنا عند الحديث عن أفلوطين أنه انخرط فى جيش الامبراطور جورديان الثالث مع حملته على الفرس ، بغية الاطلاع على مذاهب الشرق وما فيه من حكمة ، ولكن فشل الحملة ، جعلته يعود أدراجه ويتجه الى روما حيث افتتح مدرسته . نشبت الحـرب لأن فارس قامت بهـا دولة الساسانيين على يد مؤسسها أردشير ، حتى اذا استتب له الأمر أرسل سنة ٢٣٠ الى روما يتحدى الامبراطور ويطلب اعادة الأقاليم التى كانت تابعة للفرس مثل آسيا الصغرى

وسوريا ، ومات اردشير سنة ٢٤١ ولما تبدا الحرب ، التى نهض بها ابنه شـــابور (٢٤١ ــ ٢٧٢) ، والتقى بجيش جورديان ، الذى هزمه اول الامر ، ولكن مصرع جورديان سنة ٢٤٤ اوقف الحرب ، واتفق على أن تحـــكم فارس ارمينيا ، وروما العـــراق . ثم نشبت الحرب مرة اخرى سنة ٢٥٨ ، وكان على راس الجيش الرومانى الامبراطور فاليريان ودارت الدائرة على الامبراطور وانهزم هزيمة ساحقة وأسر هو وجيشه .

أحسن شابور معاملة الأسرى ، واستطاع بما منحهم من حرية أن يستفيد منهم ، وكان فيهم كثير من الفنيين ، اطباء ومهندسين وصناع مهرة . وهؤلاء هم الذين قاموا ببناء السد الكبير على نهر دجيل عند تستر ، والمعروف باسم « شاذروان تستر » . وانزل شابور ــ او سابور ــ الأسرى فى بقعة قريبة من مدينة سوس ، ومن مدينـــة تستر ، فاقاموا بها معسكرا اصبح مدينة « جنديســـابور » اى معسكر سابور . وازدهرت المدينة واصبحت قاعدة اقليم خوزستان أيام الساسانيين ، الذين اتخذوا من مدينـــة السوس مقرهم الشتوى ، ومن جنديسابور مقرهم الصيفى لطيب مائها واعتدال هوائها ، وظل ملوك الساسانيين كما يقول المسعودى فى مروج الذهب حتى زمان هرمز يقيمون بجنديسابور فى خوزستان .

وقد نعم الأسرى فى ظل الحكم الفارسى بحرية دينيـــة

لم ينعموا بهـــا فى كنف الرومان ، الذين كانوا يضطهدون المسيحيين مما دفعهم الى التخفى وممارسة عباداتهم سرا . ولم يكن يعنى الفرس ان يحاربوا النصارى فتركوا لهم حرية بناء الكنائس . ثم ان جنديسابور لم تعد تحت حكم هرمز قاعدة العرش ، ففقدت بذلك اهميتها ، واصبحت خرائب ، الى ان أعاد بناءها سابور الثانى سنة ٣٦٢ عقب انتصاره على الامبراطور جوليان ، ووقوع عدد من الاسرى فى يديه ، فانزلهم المدينة بعد تجديدها ، وكانت المسيحية قد انتصرت نهائيا على الوثنية ، فاصبح عبء نقل الحضـــارة اليونانية واقعا على عاتق الكنيســة ، وقام بها فى الشرق نصـــارى السريان وكانوا من النساطرة .

ولسنا ندرى على التحقيق ما كان من امر المدرسة فى القرنين الرابع والخامس ، ولكن المؤكد ان كسرى انوشروان (٥٣١ — ٥٧٨) هو الذى احاط المدرسة برعايته ، وطمع أن تكون على مثال المدارس الفلسفية وبخاصـــة مدرسة الاسكندرية التى كانت تعنى بالرياضيات والطب والفلسفة. وهو الاتجاه الاسكندرانى الذى تحدثنا عنه من قبل . وهو الذى رحب بفلاسفة اثينا الذين طردهم جستنيان عندما اغلق ابواب الاكاديمية والمشائية . وعنـــدئذ طبق المنهج الاسكندرانى فى التعليم ، واستعملت الكتب نفســـها التى كانت تدرس فى الاسكندرية ، ان فى الطب او الرياضيات . ولم تكن جنـديسابور هى المدينة الوحيدة فى فارس التى

كانت مقراً للعلوم والفلسفة ، بل ظهرت مدارس فى مدن اخرى ، ذكر ياقوت فى معجم البلدان ما يدل على وجودها اذ يقول عند الكلام عن « ريشهر » ، « وهى مختصر من ريرِ اردشير ، ناحية من كورة ارجان كان ينزلها فى الفرس كشته دفتران ، وهم كتّاب كتابة الجستق (١) ، وهى الكتابة التى كان يكتب بها كتب الطب والنجوم والفلسفة ، وليس بها اليوم أحد يكتب بالفارسية ولا بالعربية » . والمقصود بالنجوم علم الفلك .

اخذ طب اليونان عن مدرستين ، مدرسة ابقراط الذى توفى فى القرن الثالث قبل الميلاد ، ومدرسة جالينوس (توفى ٢٠٠ بعد الميلاد) . واصل جالينوس من برجام بآسيا الصغرى ، ولكنه عاش معظم حياته فى روما ، ولا بد انه اتصل بالاسكندرية واطبائها. واعتمدت مدرسة الاسكندرية على كتبه ، واختاروا منها ستة عشر كتابا لا بد لطالب الطب من حفظها ، وعليها اعتمدت مدرسة جنديسابور الطبية ، ونقلتها الى السريانية ، وعن هذه الكتب المترجمة الى السريانية نقلت الى اللغة العربية فى عصر الترجمة . ومن أطباء الاسكندرية الذين تابعوا جالينوس : اوريباسيوس ، وايتيوس ، واهرن ، الذى يسميه العرب اهرن القس ،

---

(١) كذا بالاصل ، ولعل صوابها جشنتن ، بالنون لا بالقاف ، ومعناها بالفارسية البحث .

وهو طبيب وكاهن يهودى عاش فى الاغلب فى القرن الخامس ، وترجم « كناشه » أى كتابه الواقع فى ثلاثين مقـــالة الى السريانية ثم الى العربية . ويلوح ان الذى اذاع كتب اهرن طبيب فارسى النشأة ، يهودى المذهب ، سريانى اللسان ، يسمى ماسرجويه أو ماسرجيس ، تولى نقل كتاب اهرن فى خلافة مروان بن الحكم (٦٤ ــ ٦٥ هـ) الى العربية .

ولكن مدرسة جنديسابور الطبية لم تقف عنـــد طب بقراط وجالينوس ، بل اخذت ايضا بالطب الهندى الذى يعتمد على الاعشاب المعروف اثرها بالتجربة وعلى التعاويذ والتمائم لطرد الارواح الشريرة التى كانوا يعتقدون انهـــا تسبب المرض . ويروى أن كسرى استدعى من الهند طبيبا ليعلم الطب على الطريقة الهندية فى مدرسة جنديسابور وكذلك عنى كسرى بالاعشاب الهندية واستجلب بعضها الى فارس وزرعها فى ضواحى جنديسابور ، ومنها «السكر» الذى يصنع من قصب السكر . ولفظة « سكر » هـــذه سنسكريتية ، درجت فى اللغة الفارسية ومنها الى العربية . وقد استخرج السكر من عصير القصب حوالى القرن الرابع الميلادى فى الهند ، فلما زرع فى جنديسابور انشئت معاصر خاصة له . وفى ذلك الوقت كان السكر يستخدم فى العلاج ، ولم يتخذ بدلا من عســل النحل وسيلة للتحلية الا فى زمان متاخر .

قلنا ان الفرس اهتموا بالطب والنجوم والفلســـفة .

وعلم النجوم وهو الذى نسميه علم الفلك ، عنوا به عناية كبيرة ، ووضعوا بجنديسابور مرصداً على نسق ما كان موجوداً فى الاسكندرية . وعندما نقل العرب هذا العلم اخذوه عن الفرس ، ولذلك نجد كثيرا من المصطلحات الفارسية المعربة ، مثل زيج ، وهو لفظة من اللغة البهلوية المستخدمة زمان الساسانيين معناه السدى الذى ينسج فيه لحمة النسيج ، ثم اطلق على الجداول العددية لمشابهة خطوطها الراسية بخيوط السدى . واقدم كتاب ترجم فى علم الفلك هو « زيج الشاه » .

واما الفلسفة فان كتب ارسطو ومنطقه بوجه خاص كانت على راس الكتب الفلسفية التى نقلها السريان لحاجتهم اليها فى مباحثهم الدينية .

ويبدو ان اللغة الاساسية التى كانت مستخدمة فى المدرسة هى السريانية ، باعتبار انها لغة الاساتذة من جهة ، ولغة المراجع فى شتى العلوم بعد نقلها من اليونانية الى السريانية ، فكان لا بد للطالب من تعلم السريانية ليتمكن من التحصيل . ولا نزاع ان الاسرى الذين نزلوا جنديسابور كانوا يتكلمون اليونانية الى جانب السريانية ، ثم تعلموا الفارسية . ويلوح ان بعض الكتب قد ترجم الى الفارسية ايضا عن طريق السريانية ، كما حدث فيما بعد حين نقلت العلوم والفلسفة من السريانية الى العربية . وهذه الكتب السريانية فى طب جالينوس ، ومنطق ارسطو وبعض الكتب

الفلكية والرياضية هى التى عنها نقل المترجمون فى العصر العباسى ، وذلك بعد انشاء بغداد التى لم تكن مسرفة البعد عن جنديسابور ، فاجتذبت العاصمة الجديدة بتشجيع الخلفاء والأمراء وما كانوا يغدقونه على العلماء كثيرا من اطباء النساطرة وعلمائهم فجعلوا يهجرون موطنهم الاصلى فى المدرسة الفارسية ليستقروا فى عاصمة الخلافة .

واول خليفة استقدم طبيبا من جنديسابور ، هو المنصور العباسى ، حين اصيب بعلة شديدة ترجع الى اضطراب الهضم ، وكان ممسودا ، فدعا جرجيس بن بختيشوع رئيس مدرسة جنديسابور وبيمارستانها . وظل جرجيس فى بلاط الخليفة ببغداد ، من سنة ١٤٨ هـ الى ١٥٢ هجرية ، حيث استاذن فى العودة الى جنديسابور . وفى خلافة الهادى استقدم بختيشوع بن جرجيس بن بختيشوع ، ليكون طبيب البلاط ، ولكن نشأ بينه وبين ابى قريش طبيب زوجة الهادى نزاعا ، فرؤى ان يستغنى عنه . فلما تولى هارون الرشيد طلبه لمداواته من صداع مزمن ، ثم استمر فى خدمة الخلافة من أسرة بختيشوع الابن الثالث وهو جرجيس بن بختيشوع الذى كان طبيبا لجعفر ابن يحيى البرمكى ثم اصبح طبيب الرشيد ورئيس الأطباء ، وخدم الأمين والمأمون ، وله مؤلفات طبية باللغة العربية ، توفى سنة ٢١٣ هـ .

وانشأ المأمون سنة ٢١٥ هجرية بيت الحكمة فى بغداد ،

وجعله مقـــراً للترجمة من السريانية ، ومن اليونانية الى العربية ، وجعل على راسه يوحنا بن ماسويه ، وهو طبيب سرياني من مدرسة جنديسابور ، هاجر الى بغداد وانشأ بها بيمارستانا الى ان قلده المأمون رياسة بيت الحكمة . وكان حنين بن اسحاق ، اشهر المترجمين ، من تلاميذه .

ورب معترض يقـــول ان بيت الحكمة لم يكن مدرسة فلسفية بل داراً للترجمة ، وليست ترجمة الكتب فلسفة . بل ان مدرسة جنديسابور نفسها لم تكن مدرسة فلسفية لانه لم يؤثر عنها انه قد ظهر منها فلاسفة يعرفون بهـذا الوصف ، وانما الذى برز منهم أطباء يقـــومون بالعلاج ويديرون البيمارستانات .

وهو اعتراض له وجاهته ، ولكن الحق ان مدرســـة الاسكندرية نفسها فى عصرها المتاخـــر فى القرنين الرابع والخامس ، لم تكن مدرسة فلسفية بمقدار ما كانت مدرسة علمية رياضية وطبية ، فيما عدا الافلاطونية الجديدة التى انشاها امونيوس سكاس واعلنها افلوطين . وفيما عدا ذلك فهل يمكن ان نسمى بطليموس صـــاحب المجسطى ، او منيلاوس ، او نيقوماخوس او بابوس وغيرهم فلاسفة . وكذلك الاطباء من امثال اوريباسيوس واهرن . وفضـــلا عن ذلك فان هؤلاء الرياضيين والاطباء لم يكونوا من الاعلام كأوقليدس او جالينوس بل كانوا أصحاب مختصرات وشروح بغية مصـــلحة التعليم . هذا وقد كانوا الى جانب ذلك

يعرفون مذاهب أفلاطون وارسطو والرواقيين وغيرهم من الفلاسفة ، فهم وان لم يكونوا فلاسفة الا انهم كانوا مؤثرين للحكمة ومعلمين لهـــا الى جانب معرفتهم بالرياضـــيات والطبيعيات والطب . وكان ذلك حال مدرسة جنديسابور ، فهى استمرار للتعليم الاسكندرانى وبخاصة فى الطب . ولما انتقل اطباؤها الى بغداد كان لا بد ان ينهضوا اول الامر بحركة الترجمة تلك الحركة التى استغرقت زهاء قرن من الزمان .

ولكن ظهر من بين هؤلاء المترجمين وفى ابان حـركة النقل فيلسوف اسلامى هو اول من سمى من العـــرب فيلسوفا ، وكان صاحب مدرسة ، وهو الكندى .

المدارس الفلسفية الإسلامية

١ ـ مدرسة الكندى

لم يظهر فى الاسلام مدارس فلسفية منظمة تفتح ابوابها للطلبة كما كان الحال فى اكاديمية أفلاطون او لوقيون ارسطو ، او حديقة ابيقور ، وانما ظهرت على معنى الصحبة والاتباع وتقليد المذهب . وهذا على عكس مدارس الفقه واللغة والتفسير والحديث التى انشئت منذ القرن الخامس الهجرى ، وانتشرت فى جميع انحاء العالم الاسلامى ، ورتب لها الاساتذة والكتب والجرايات واقيمت لها ابنية خاصة . وعلة ذلك ان الفلسفة كان ينظر لها بعين الارتياب ، واتهم المشتغلون بها بالكفر والالحاد ، فلم يكن يتسنى للدولة ان ترعاها .

ثم ان الفلاسفة الاسلاميين لم يكونوا فلاسفة فقط ، بل اشتغل معظمهم بالطب او الرياضيات ، ثم اتصلوا من ذلك بالفلسفة ، ولم تنقطع صلتهم بالطب او بالرياضيات ، فكانوا حكماء واطباء فى آن واحد . وكانت هناك مدارس طبية ملحقة بالبيمارستانات يتخرج فيها الاطباء . ولكن حديثنا

اساساً عن المدارس الفلسفية ، فاين كانت تلك المدارس ؟ الارجح ان الفلاسفة كانوا يعقدون تلك المدارس ، والاصح ان يقال « المجالس » فى دورهم ، ولم يكن عدد اتباعهم كبيرا ، بل بضعة نفر .

ومن هذا القبيل مدرسة الكندى . وهو ابو يوسف يعقوب بن اسحاق بن الصباح بن عمران بن اسماعيل بن محمد بن الاشعث الكندى ، فيلسوف العرب ، واحد ابناء ملوكها ، لأن كندة كانوا ملوكا على اليمن . تولى اسحاق بن الصباح امارة الكوفة فى خلافة المهدى والهادى والرشيد ، وولد ابنه يعقوب بالكوفة سنة ١٨٥ هجرية ، وبها تعلم القراءة والكتابة والنحو والعربية والفقه وعلم اصول الدين ، ولكنه انصرف عن علم الكلام الى علم الطب والفلك والرياضة والفلسفة ، وشارك النقلة فى الترجمة ، وكان يصلح الكتب المترجمة باسلوبه العربى الفصيح ، وفسر كثيرا من كتب ارسطو ، والف كتبـــا مبتكرة جعلت مؤرخى الفلســـفة الاسلامية يصفونه بانه فيلسوف العرب وقد نبغ فى خلافة المامون والمعتصم ، وكان مؤدب احمـــد بن المعتصم بالله ، وعاش زمان المتوكل ، وتوفى سنة ٢٥٥ هجرية .

ان الكندى فيلسوف على الحقيقة ، جدير بهذا الاسم ، ويُعَدّه استمراراً للتعليم الاسكندرانى الذى ورثه العرب بعد نقله الى اللغة العربية ، بعد ان دفع هذا التراث دفعة

قوية ، وطعّمه بالديانة الاسلامية موفقاً بين الدين والفلسفة .

وقد عاصر الكندى المترجمين ، حتى قيل انه احد اربعة من حذاقهم ، ، والثلاثة الآخرون هم حنين بن اسحاق ، وثابت بن قرة ، وعمر بن الفرخان الطبرى . والحق انه لم يكن مترجما بمقدار ما كان مصلحاً للتراجم الغثة ، وكان الى ذلك مقتبساً للفكر اليونانى يلخصه ويأخذ زبدته ، وكان يصطنع مترجمين من السريان ينقلون اليه ما يريد من كتب ، ومن المعروف أن الذى كان يترجم لحسابه يسمى « اسطاث » . وكان الكندى يعرف اللغة السريانية معرفة جيدة ، والف بهذه اللغة رسالة صغيرة . اما معرفته للغة اليونانية فمشكوك فيها .

وله مؤلفات غزيرة بلغت زهاء مائتين وستين كتابا ورسالة فى شتى فنون المعرفة من منطق ورياضيات وفلك وموسيقى وعلوم طبيعية وميتافيزيقا واخلاق وسياسة وكيمياء وغير ذلك ، مما يجعلنا نقول انه كان فيلسوف الحضارة العربية فى القرن الثالث الهجرى . ومعظم كتبه كان يوجهها اما للمعتصم ، او لأحمد بن المعتصم ، او لبعض الاخوان والتلاميذ ، الذين كانوا يستفسرون عن مسائل ، تعد الرسالة رداً على تلك الاسئلة . ومعظم الرسائل الباقية بين أيدينا تجرى على هذا النحو من السؤال والجواب ، مما يؤكد ان الكندى لم يكن مترجما ناقلا ، بل كان مفكراً

اصيلا ، حصل المعارف السابقة وتمثلها ثم ابدى رايه بعد ترجيح وجهة نظر على اخرى ، واضافة آراء جديدة . ونضرب مثالا لذلك برسالة يجيب فيها عن ثلاث مسائل مختلفة ، الأولى : لم صار البخار يجمد فى الجو ؛ والثانية من الصحو والغيم ، والثالثة اذا كانت الأعداد بلا نهاية فهل يمكن ان تكون المعدودات بلا نهاية . وليس من الضرورى أن يكون السائل قد تراسل فعلا مع الكندى ، اذ لعله قد باحثه ، وكانت نتيجة المباحثة تقييد هذه الرسالة . وكذلك كان يفعل مع تلميذه أحمد بن المعتصم بالله ، ولذلك جاءت رسائله ذات هيئة تعليمية مرتبة .

ويبدو أن الكندى كان يستقبل تلاميذه فى داره ، حيث كان يقتنى مكتبة واسعة من اكبر المكتبات ، حتى سميت بالمكتبة « الكندية » . ولهذه المكتبة قصة جديرة بالرواية ، اذ كان محمد واحمد ابنا موسى بن شاكر فى ايام الخليفة المتوكل يكيدان كل من ذكر بالتقدم فى معرفة ، فدبرا على الكندى حتى ضربه المتوكل ، ووجها الى داره فاخذا كتبه باسرها ، وافرداها فى خزانة سميت « الكندية » ، واسترجع الكندى مكتبته فيما بعد حين رضى عنه المتوكل .

ومن تلاميذه ابو العباس احمد بن محمد الخراسانى ، كان ممن ينتمى الى الكندى ، وعليه قرا ، ومنه اخذ . ومنهم ابن كرنيب ابو احمد الحسين بن ابى اسحاق بن ابراهيم الكاتب ، وكان يعد من جملة المتكلمين . ومنهم على

ابن الجهم ، وكان من الشعراء المختصين بالمتوكل . وعدوا منهم كذلك جماعة باسم نفطويه ، وحسنويه ، وآخرون على هذا الوزن .

وطريق المعرفة عند الكندى اما حسى واما عقلى او هما معاً . ولا بد مع ذلك من امور اربعة يتبعها طالب الفلسفة ، وهى الطلب والبحث والاداة والزمان . فالطلب سعى الى غاية ، والبحث تفتيش عن الخفايا ، والمعرفة ثمرة البحث ، والبحث نتيجة الطلب . وادوات البحث الرياضة والمنطق . والزمان داخل فى كل فعل انسانى ، على عكس العلم الالهى الذى « يتم بلا طلب ، ولا تكلف ، ولا بحث ، ولا بحيلة من الرياضيات والمنطق ، ولا بزمان » . ويهمنا من هذه الامور الاربعة الرياضة والمنطق .

فقد ورث العرب فلسفة افلاطون كما ورثوا فلسفة ارسطو ، وكان افلاطون يعتمد فى الفلسفة على المنهج الرياضى ، وكان ارسطو يعتمد على المنطق . ولما كان الكندى فيلسوفا رياضيا فى المحل الاول ، فلا عجب ان يجعل الرياضة مدخلا لا بد منه لتعلم الفلسفة . وفى ذلك يقول بعد ذكر كتب ارسطو التى يحتاج الفيلسوف التام الى اقتناء علمها ، انه يجب اقتناء علم الرياضيات قبل ذلك ، « فانه ان عدم احد علم الرياضيات التى هى علم العدد والهندسة والتنجيم والتاليف (اى الموسيقى) » وان طالب

الفلسفة اذا لم يحصل العلوم الرياضية تحصيلا وافيا ، فلن يتسنى له معرفة الفلسفة معرفة صحيحة .

لذلك كان العلم الرياضى مع انه اوسط فى الطبع ، الا انه اول فى التعليم .

ولكن فلاسفة العرب بعد الكندى ، لانهم اتجهوا وجهة مشائية ، فقد اتخذوا من المنطق اداة لتعلم الفلسفة ، كما هى الحال عند الفارابى وابن سينا فيما بعد .

ويعد الكندى أول مصنف للعلوم عند العرب . وهو صاحب قسمة العلوم قسمين دينية وفلسفية ، وتبعه فى هذا التقسيم سائر الذين صنفوا العلوم ابتداء من الفارابى الى ابن خلدون . والذى دفعه الى اضافة العلوم الدينية ان الاسلام جاء بعلوم لا غنى عنها ، مثل علم النبوة وعلم اصول الدين وما يتصل بهما من فقه وحديث وتفسير وغير ذلك .

وقد شق الكندى طريق العلوم الرياضية من حساب وهندسة وفلك وموسيقى ، وكان يعد فى العصر الوسيط احد ثمانية من كبار علماء الفلك فى العالم فى ذلك الزمان . اشتهر فى اوربا بكتبه التى ترجمت الى اللغة اللاتينية ، والتى لا يزال بعضها موجودا .

وهو صاحب أول مدرسة موسيقية فى الاسلام ، من الناحية النظرية . وقد وضع رسائله فى الموسيقى لفائدة المتعلمين ، وبيان طريقة تعلمهم . يقول فى احدى رسائله

عند الكلام على طريقة جس الاوتار : « وهو سبيل ومدخل الى التعليم ، والالف للأصابع فى التنقل على الدساتين ؛ فان مَن استعمل ذلك واحكمه واسرع فيه ، قبل ان يقصد الى التعلم ، كان اسرع للقبول ، وسهلت عليه محاكاة الأستاذ . . »

وعلى الرغم من البحث النظرى فى الموسيقى واصولها وحسابها الرياضى ، فان الكندى يرى ان فنون تعليم الموسيقى « موجودة عند اهل هذه الصناعة ، واخذها عنهم ، وتعلمها منهم نظراً ، اسرع واقرب الى الفهم منها من الكتاب » .

وقد عنى الكندى بالفنون العملية التى تشكل حضارة الامة من الناحية المادية ، ولذلك اشتغل بالكيمياء ، وما يتصل بالكيمياء من اصباغ واحماض . وليس ببعيد انه كان يجرى فى داره تجارب كيمائية . وله رسالة فى السيوف تدل على معرفة وثيقة بصناعة الحديد والصلب ، استمدها من الاختلاط بارباب هذه الصناعة . وهذا كله يثبت ان الفلسفة فى ذلك العصر لم تكن منعزلة عن المجتمع وحاجاته والرغبة فى العمل على رقيه وتقدمه .

ويتلخص مذهبه الفلسفى فى امرين يستهدفان غرضا يريد الوصول اليه . اما الغرض فاثبات « الواحد الحق » وهو الله سبحانه . ولما كان الاسلام يرمى الى اثبات الوحدانية ، وان الله الواحد مبدع العالم من عدم ، وكانت الفلسفة فى صميمها تبغى معرفة الاله الواحد الحق ، فلا

مناقاة بين الدين والفلسفة ، أو بين الحكمة والشريعة . وليس الاشتغال بالفلسفة كما يتهمها رجال الدين كفرا ، اذ لا يوجد فى الدين ما ينص على تحريمها وكفرها .

والأمر الثانى محاولته التوفيق بين افلاطون وارسطو . وقد رأينا ان ذلك التوفيق بدأ بالاسكندرية ، وعند افلوطين وفرفريوس بوجه خاص . ولكن جوهر فلسفة افلاطون التى تؤمن بالمثل اصلا للموجودات ، يخالف جوهر فلسفة ارسطو التى تعد فلسفة وجود قبل كل شىء ، وتخالف جوهر فلسفة افلوطين التى تعتمد على الواحد وتصدر عنه الموجودات بسلسلة من الفيض . ولم يستطع الكندى ان يحل هذه المشكلة ، وان يدمج فلسفة الوجود وفلسفة الواحد فى مذهب جديد يوفق بينهما . وهذا ما فعله الفارابى فيما بعد .

صفوة القول : لم يكن الكندى رئيسا لمدرسة فى بغداد بالمعنى المقصود من مدرسة عبارة عن بناء يشتمل على حجرات يجرى فيها التعليم بطريقة منظمة ، اذ كانت تلك المدارس لأسباب تاريخية وقفا على النصارى وملحقة فى الاغلب بالأديرة ، بعد انتقال الفلسفة والعلوم من الاسكندرية الى انطاكية ومن انطاكية الى حران ، والى جنديسابور ومنها الى بغداد ، ولذلك قال الدكتور مايرهوف فى بحثه عن انتقال التعليم من الاسكندرية الى بغداد ، أن « الكندى

الذى عاش آنئذ فى بغداد ، وكان أول فيلسوف مسلم ، لم يكن يدير اية مدرسة ، وانما كان يعطى دروسا خاصة » .

استطاع الكندى أن يبرز كفيلسوف ، وأن يرتفع عن مجرد اتباع الكتب المترجمة ، وأن يخلق فى بغداد جيلا من التلاميذ ، ولم يكونوا كثيرين ، اشهرهم ثلاثة هم ابن كرنيب الذى كان صاحب مدرسة فى بغداد ، واحمد بن الطيب السرخسى ، وابو زيد البلخى .

اما الذى اشتهر بين العرب حتى سمى المعلم الثانى ، فهو الفارابى .

٢ — مدرسة الفارابى

ابو نصر ، محمد بن محمد بن طرخان بن اوزلغ الفارابى ، ولد ٢٥٩ هجرية وتوفى ٣٣٩ . والفارابى نسبة الى مدينة فاراب بين حدود فارس وتركيا ، انتقل الى بغداد وتعلم بها الفلسفة على شخص يسمى يوحنا بن حيلان ، فاتقن المنطق ، وانتهى به المطاف الى بلاط سيف الدولة الحمدانى ، فخدمه ، ولازمه ، وتوفى بدمشق سنة ٣٣٩ هجرية . سمى المعلم الثانى فى اكبر الظن لانه ادخل صناعة المنطق عند العرب ، باعتبار ان ارسطو — صاحب المنطق — هو المعلم الاول . وقد طعن على الكندى وقيل انه يجهل المنطق ، ولا يعرف بوجه خاص صناعة التحليل ، او البرهان . وان الذى ذلل المنطق ، ويسره ، وفسره ، هو الفارابى . والحق ان الكندى كان رائدا شق الطريق ، وكان يكابد فى وضع المصطلح العربى المقابل للمصطلح اليونانى ، وقد هجر كثير من المصطلحات التى وضعها ، ولم تستقر فى الواقع الا زمان الفارابى الذى يعد صاحب الفضل فى استقرارها . وايضا فان الكندى كما ذكرنا لم يكن يؤمن بالمنطق اداة اولى لتحصيل الفلسفة ، وآثر عليها

الرياضيات ، لذلك لم يكن يعنيه كثيرا ان يتعمق فى صناعة المنطق ، على الرغم من ان ثبت مؤلفاته يدل على انه فسر معظم كتب ارسطو المنطقية .

وللفارابى كتب كثيرة معروفة ، منها آراء اهل المدينة الفاضلة ، واحصاء العلوم ، وتحصيل السعادة والتنبيه على سبيل السعادة ، والجمع بين رايى الحكيمين ، وغير ذلك من الرسائل المطبوعة . وله من الكتب المخطوطة الشىء الكثير ، الا ان معظمها مفقود ، وكتابه الموسيقى الكبير تحت الطبع فى الوقت الحاضر .

ثم انه لم يتعلم على يوحنا بن حيلان فقط ، بل على ابى بشر متى بن يونس ايضـــا . وذكر ابن خلكان كيفية اتصاله بأبى بشر وتعلمه منه بما يوضح كيف كان يجرى التدريس ، قال : « ولما دخل بغداد كان بها ابو بشر متى بن يونس الحكيم المشهور ، وهو شيخ كبير ؛ وكان يقرأ الناس عليه فن المنطق وله اذ ذاك صيت عظيم وشهرة وافية ، ويجتمع فى حلقته كل يوم المئون من المشتغلين بالمنطق ، وهو يقـرأ كتاب ارســـطوطاليس فى المنطق ، ويملى على تلامذته شرحه ، ولم يكن فى ذلك الوقت مثله فى فنـــه . وكان حسن العبارة فى تآليفـــه ، لطيف الاشارة ، وكان يستعمل فى تصانيفه البسط والتذليل ، حتى قال بعض علماء هذا الفن : ما ارى ابا نصر الفارابى اخذ طريق تفهيم

المعانى الجزلة بالالفاظ السهلة الا من ابى بشر . وكان ابو نصر يحضر حلقته فى غمار تلامذته ، فاقام ابو نصر كذلك برهة ؛ ثم ارتحل الى مدينة حران وفيها يوحنا بن حيلان الحكيم النصرانى ، فأخذ عنه طرفا من المنطق . ثم انه قفل راجعا الى بغداد وقرأ بها علوم الفلسفة ، وتناول جميع كتب ارسطوطاليس ، وتمهر فى استخراج معانيها والوقوف على اغراضه فيها » . من هذا يتضح ان ابا بشر متى بن يونس كان رئيس مدرسة فى بغداد . ولكنه لم يكن هو الذى ابتدعها ، بل تعلم على غيره فى سلسلة متصلة من التعليم الفلسفى .

ولكى نفهم موضع الفارابى فى هذه السلسلة يحسن ان نتتبعها من بدايتها بالاسكندرية ، وذلك عن رواية نقلها ابن ابى اصيبعة فى طبقات الاطباء عن كلام للفارابى فى ظهور الفلسفة ، وانه كان زمان اليونانيين حتى ارسطو ، ثم انتقل الى الاسكندرية فى حكم البطالسة حتى كليوبطرة ، ولما استولى الرومان على مصر ، استنسخوا الكتب الموجودة بالاسكندرية واصبح للفلسفة موضعان للتعليم احدهما فى روما ، فلما انتصرت النصرانية زالت مدرسة روما وبقيت الاسكندرية ، وانتقل منها التعليم الى انطاكية واستمر بها الى ان بقى « معلم واحد ، فتعلم منه رجلان ، وخرجا ومعهما الكتب ، فكان احدهما من اهل حران والآخر من اهل مرو . فاما الذى من اهل مرو فتعلم منه رجلان :

احدهما ابراهيم المروزى والآخر يوحنا بن حيلان . وتعلم من الحرانى اسماعيـــل الاسقف ، وقويرى ، وسارا الى بغداد ، فتشاغل اسرائيل بالدين ، واخذ قويرى فى التعليم . واما يوحنا بن حيلان فانه تشاغل ايضا بدينه . وانحدر ابراهيم المروزى الى بغداد فأقام بها . وتعلم من المروزى متى بن يونان (اى يونس) ... وقال ابو نصر الفارابى عن نفسه انه تعلم من يوحنا بن حيلان الى آخر كتاب البرهان» .

واذا كنا قد عرفنا طرفا من طـريقة ابى بشر ، فان الغموض يلف شخصية يوحنا بن حيلان . ويبدو ان تأثر الفارابى بأبى بشر كان اعظم . وقيل ان الفارابى كان اصغر سنا من ابى بشر ، ولكنه كان احد ذهنا ، واغلب كلاما . وسبب ذلك ان الفارابى كان يجتمع بأبى بكر بن السراج النحوى ، فياخـــذ عنه النحو ، ويأخذ عنه ابن السراج المنطق .

ولسنا ندرى الا النزر اليسير عن طريقة الفارابى فى التدريس . ويمكن استخلاص هذه الطريقة من ثبت كتبه الوارد فى طبقات الاطباء لابن ابى اصيبعة . فقد كان الفارابى قصير النفس فى التاليف ، وكتبه تعاليق . ويبدو انه فى التأليف كان يستغرق زمنا طويلا لأن كتاب آراء اهل المدينة الفاضلة بدأ فى تصنيفه ببغداد « وحمله الى الشام فى آخر سنة ثلاثين وثلثمائة ، وتممه بدمشق فى سنة احدى وثلاثين وثلثمائة ؛ وحرره ، ثم نظر فى النسخة بعد التحرير فأثبت

فيها الأبواب ، ثم سأله بعض الناس أن يجعل له فصولا تدل على قسمة معانيه فعمل الفصول بمصر سنة سبع وثلاثين ... » ويهمنا فى هذا الخبر ان جماعة من التلاميذ سألوه ان يرتب الكتاب . ولكن من الصعب معرفة اسماء هؤلاء التلاميذ . ويبدو كذلك ان الفارابى كان يضيق بالكتابة ، ويستحسن الاملاء على تلاميذه . من ذلك ان له كتاب « شرح كتاب البرهان لأرسطوطاليس ، على طريق التعليق ، املاه على ابراهيم بن عدى ، تلميذ له بحلب » . ومن ذلك ايضا كتاب يسميه ابن ابى اصيبعة : « كلام املاه على سائل سأله عن معنى ذات ومعنى جوهر ، ومعنى طبيعة » .

واعظم تلاميذه يحيى بن عدى ، المنطقى ، اليه انتهت الرياسة ومعرفة العلوم الحكمية فى وقته ، قرأ على ابى بشر متى ، وعلى ابى نصر الفارابى ؛ وهو نصرانى يعقوبى ، توفى ٣٦٤ هـ . كان مترجما عن السريانية ، ومعظم مؤلفاته فى المنطق . وعن طريق يحيى بن عدى ، تسلسلت المدرسة المنطقية فى بغداد ، فرأسها ابو الخير الحسن بن سوار المعروف بابن الخمار ، ولد ٣٣١ ، فيلسوف وطبيب ، ومنطقى ، وله شروح وتعليقات على اورجانون ارسطو . ثم ابو على عيسى بن اسحاق بن زرعة ، نصرانى يعقوبى ، له ترجمات لبعض كتب ارسطو ، والاسكندرانيين . ثم عبد الله بن الطيب ، تلميذ ابن الخمار ، فيلسوف وطبيب

اشتغل بالبيمارستان العضدى ، جمع بين الطب والفلسفة . شرح ميتافيزيقا ارسطو وكتبه المنطقية ، واتصل بالمراسلة مع معاصره ابن سينا .

لا نود أن نحصى اسماء كل الفلاسفة الذين اشتهروا ببغداد ، واخذ بعضهم عن بعض ، فهذا أمر يطول ، وفى القدر الذى ذكرناه كفاية لتوضيح مدرسة بغداد الفلسفية ، والتى كانت تقوم على منطق أرسطو وشرح كتبه المختلفة فى الطبيعيات ، والالهيات ، والاخلاق والسياسة ، وتهذيب الكتب الطبية والرياضية المأثورة عن مدرسة الاسكندرية .

ولا غرابة أن يدور المذهب الفلسفى حول آراء الفارابى ، الذى اعترف له بالرياسة فى الفلسفة ، حتى سموه المعلم الثانى . ويمكن تلخيص هذه الآراء فى امور ثلاثة : المنطق ، وتسلسل الوجود بالفيض ، ونظرية الاتصال .

اما المنطق فهو اداة الفكر ، ومعيار النظر ، منزلته من الفلسفة منزلة علم النحو من اللغة ، الا ان النحو يعنى بالالفاظ ، على حين يعنى المنطق بالمعانى . وقد اثر الفارابى فى الفلسفة الاسلامية من جهة المنطق ثلاثة انواع من التاثير ، الأول حسن صياغة العبارة المنطقية مما يجعلها مقبولة مفهومة ، والثانى العناية بالتحليلات الثانية اى البرهان ، بعد أن كان السابقون لا يتجاوزون التحليلات الأولى اى القياس . والثالث دخول المنطق فى علم الكلام حتى اضحى بعد القرن الخامس الهجرى جزءا من مباحثه .

واما تسلسل الوجود صدوراً عن الواحد ، فانها نظرية مزج فيها الفارابى بين « الفلسفتين » اى بين افلاطون وارسطو ، وكذلك افلوطين ، فاصبحت النظرية مستقيمة لا تعتمد على اساسين هما الوجود والواحد ، بل على اساس واحد مداره ان الوجود هو الواحد ، وعن الموجود الاول صدرت جميع الموجودات « على جهة فيض وجوده لوجود شيء آخر » . صدر عن الموجود الاول العقل الاول ، ثم يصدر عنه العقل الثانى وهكذا الى نهاية العقول العشرة ، والعقل العاشر هو الذى يحكم عالم الارض ، عالم الكون والفساد ، والعناصر الاربعة . وانما كانت العقول عشرة لانها تحرك الكواكب والافلاك ، وهى بحسب علم الفلك اليونانى المتاخر عشرة .

هذه النظرية مشتقة اساسا من الافلاطونية المحدثة ، وتحل مشكلة المادة القديمة عند ارسطو ، لان الهيولى فى هذا المذهب متصلة بوحدة وجود مع الموجود الاول . وهذا يتعارض تماما مع الاسلام القائل بالخلق من عدم . وقد راينا ان الكندى كان اقرب الى روح الاسلام ، حين نادى بالخلق ، بل انه يستعمل مصطلحا ادق من معنى الخلق ، وهو الابداع . فلما شاعت فلسفة الفارابى عن طريق مدرسته ، وعن طريق ابن سينا فيما بعد ، لم ينقطع هجوم اهل السنة على الفلاسفة حتى رفع الغزالى لواء الحملة عليهم فى تهافته .

والمقصود بنظرية الاتصال ، اتصال عقولنا بآخر العقول المتسلسلة عن الواحد وهو العقل العاشر . واذا تيسر لنا الاتصال بالعقل الفعال امكن الاطلاع على كل علم بطريق « الفيض » عن الأنوار الالهية . ويتصل الفيلسوف بهذا العقل بطريق « البحث النظرى » ، ويتصل النبى أو الولى بطريق « المخيلة » التى تقبل الالهامات فى الرؤيا الصادقة او فى اليقظة على هيئة الوحى . وبهذا المسلك وفق الفارابى بين الحكمة والشريعة ، لأن الحقائق الدينية والحقائق الفلسفية كلاهما ثمرة الفيض الالهى اما عن طريق المخيلة أو النظر والتأمل .

٣ ــ مدرسة ابن سينا

مدرسة الفارابى ، وهى مدرسة بغداد ، وقد عرفت بهذا الاسم ، كان معظمها من النصارى ، بدات بأبى بشر متى ويوحنا بن حيلان ، وبلغت اوجها عند الفارابى وتلميذه يحيى بن عدى ، وكانت تعارض مدرسة الكندى معارضة جوهرية ، منهجا وموضوعا .

واذا بمدرسة ابن سينا ، التى ظهرت فى فارس ، تعارض تلك المدرسة وتستفّه آراءها وتفسيراتها وتنتقد رجالها فيما عدا الفارابى . قال ابن سينا فى كتاب المباحثات (انظر ارسطو عند العرب ــ نشر عبد الرحمن بدوى ــ ص ١٢٠ ــ ١٢٢) ما نصه : « والذى ذكره من اختلاف الناس فى امر النفس والعقل ، وتبلدهم فيه ، لا سيما البله النصارى من اهل مدينة السلام » ومدينة السلام هى بغداد . ثم تكلم بعد ذلك عن خلاصة رايه فى النفس والعقل وغير ذلك من المسائل ، وقال ان كتابه الشفاء قضى على تلك الشكوك والتوصل الى حلها . وانه كان قد صنف كتابا اسمه « الانصاف » قسم فيه العلماء الى مشرقيين ــ اى علماء فارس ــ والى مغربيين ــ يريد علماء الشام وبغداد ــ ،

وتقدم بالانصاف بين الخلاف بينهما ، وتكلم فى ذلك الكتاب عن « اثولوجيا » ارسطو ، وعن سهو المفسرين ، ولكن ذلك الكتاب فقِد فى بعض الهزائم ، وكان كما يقول : « يشتمل على تلخيص ضعف البغدادية وتقصيرهم وجهلهم » . ولكنه استثنى المعلم الثانى من البلاهة والجهل .

وتحدث عن الفارابى واعلن رأيه فيه على الرغم من انه حلقة فى سلسلة المدرسة البغدادية كما رأينا من قبل . قال ابن سينا : « واما ابو نصر الفارابى فيجب ان يعظم فيه الاعتقاد ، ولا يجرى مع القوم فى ميدان ، فيكاد ان يكون افضل من سلف من السلف » .

وقد خلّف لنا ابن سينا سيرة حياته بقلمه ، ثم اكملها تلميذه ابو عبيد الجوزجانى ، فتيسر بذلك معرفة كثير من دقائق حياته العلمية ، وطريقته فى التدريس ، وكيف كان ينصب مجلس التعليم . وهو الشيخ الرئيس ، ابو على ، الحسين بن عبد الله بن الحسين بن على ابن سينا ، ولد ٣٧٠ هـ وتوفى ٤٢٨ هـ . والشيخ تدل على الاستاذية ، والرئيس اما لأنه تولى رياسة الوزارة والاغلب انه لقب يدل على انه رئيس الفلاسفة . ابوه من بلخ وانتقل الى بخارى فى ايام الامير نوح بن منصور ، وتعلم فى بخارى وهو صبى النحو والعربية والقرآن والأدب . وكان ابوه يجتمع فى داره بداعى الاسماعيلية ، فسمع منه حديث النفس والعقل

والفلسفة والهندسة . ثم تعلم حساب الهند من رجل يبيع البقل . وقرأ على الناطلى المتفلسف المنطق والهندسة والفلك ، وتعلم الطب بنفسه ، ورجع الى العلوم الفلسفية فقرأها على نفسه ، وانتهى الى كتاب ما بعد الطبيعة لارسطو فلم يفهم منه شيئا حتى اشترى كتاب الفارابى فى اغراض كتاب ما بعد الطبيعة فانفتح له مغاليق ذلك الكتاب . وعالج نوح بن منصور فأعجب به ، وأدخله مكتبته فاطلع على نفائسها وحفظ ما فيها عن ظهر قلب . وتنقل فى مدن فارس حتى بلغ جرجان حيث قصده الجوزجانى ، الذى الح عليه أن يهتم بالتصنيف ، ويشتغل الجوزجانى بالضبط .

وفى جرجان اشترى له ابو محمد الشيرازى دارا ، وانزله فيها ، وكان الجوزجانى يختلف اليه فيها ، ولعله كان يستقبل غيره من الطلبة . وهناك أملى على الجوزجانى كتاب المبدا والمعاد ، وأول القانون ، وكثيرا من الرسائل . وانتقل الى الرى واتصل بخدمة مجد الدولة ، ثم خرج الى قزوين ومنها الى همدان ، واتصل بشمس الدولة ، وتقلد له الوزارة .

فى هذه الفترة التى تولى فيها الوزارة ، الف كتابيه العظيمين وهما الشفاء فى الفلسفة ، والقانون فى الطب ، قال الجوزجانى يصف مجلسه : « فكان يجتمع كل ليلة فى داره طلبة العلم ، وكنت اقرأ من الشفاء نوبة ، وكان غيرى يقرأ من القانون نوبة . فاذا فرغنا خضر المفنون على اختلاف

طبقاتهم ، وهيىء مجلس الشراب بآلاته . وكان التدريس بالليل لعدم الفراغ بالنهار خدمة للأمير » وكان من عادة ابن سينا الاملاء فى الاغلب ، وفى بعض الأحيان كان يكتب نسخة فى الموضوع الذى يلتمسه السائل .

ولما كثر تلاميذه ، وذاع صيته ، « رسم الأمير علاء الدولة ليالى الجمعات مجلس النظر بين يديه ، فحضره سائر العلماء على اختلاف طبقاتهم ، والشيخ فى جملتهم ، فما كان يطاق فى شىء من العلوم » .

ولم يذكر الجوزجانى وهو يدون سيرته اى اسم من تلاميذه ، وبخاصة تلميذه أبو الحسن بهمنيار الذى لازم الشيخ الرئيس فى مجلس تدريسه اثناء توليه الوزارة لشمس الدولة . وقدصف لنا مجلسه وصفا ادق قال : « حضرت انا وجماعة من تلامذة شيخنا الرئيس بكرة سبت مجلس درسه الشريف . فاتفق ان ظهر منا فى ذلك اليوم فتور عن ادراك ما كان يحققه الشيخ ، فقال لنا : كأنكم صرفتم بارحتكم فى التعطيل ! فقلنا : نعم ، كنا أمس مع جمع من الرفقة فى نزهة ، فلم يتيسر لنا مطالعة الدرس ، ومراجعة ما كنا فيه . فلما سمع ذلك الشيخ تنفس الصعداء وفاضت عيناه بالدموع ، وقال : انما أسفى على أن اللاعب بالحبال قد يبلغ امره فى لعبه الذى هو من الملكات الجسمانية الى حيث تتحير فى غرابة علمه عقول الف الف عاقل . ولكنكم لما لم يكن عندكم للحكم والمعارف الحقة مقدار ومنزلة ، آثرتم

البطالة واللهو على اكتساب العلم والفضيلة ، فلم تقدروا على ان تنزلوا الملكة الروحانية من انفسكم منزلة يتحير فيها جهلة الزمان » . وتوفى بهمنيار سنة ٤٥٨ هجرية ، واهم ما الفه من الكتب « التحصيل » يشرح فيه فلسفة ابن سينا .

ومن تلامذة بهمنيار ، ابو العباس اللوكرى ، كان عالما باجزاء علوم الحكمة دقيقها وجليلها ، وعنه انتشرت علوم الحكمة فى خراسان . ثم تتلمذ له افضل الدين الغيلانى ، واخذ عن الغيلانى صدر الدين السرخسى توفى ٥٤٥ هجرية ، واخذ عن السرخسى فريد الدين داماد النيسابورى ، وهذا الاخير استاذ نصر الدين الطوسى ، آخر تلاميذ هذه المدرسة السينوية ، وشارح كتاب الاشارات للشيخ الرئيس ، ومجدد التعليم الفلسفى والرياضى ، وصاحب حلقة جمعت كثيرا من طلبة الفلسفة والعلوم الهندسية والعقلية ، توفى ٦٧٢ هجرية ، وتمتد مدرسة الطوسى حتى تبلغ ذروتها عند ميرداماد (١٠٤١ هـ .) فى أصفهان وتلامذته .

فما هى تعاليم المدرسة السينوية ؟

الحق انها امتداد لآراء الفارابى ، الا ان ابن سينا كان اوسع عبارة واكثر شرحا . ولقد كان طبيبا اكثر منه فيلسوفا ، وكان كتابه القانون فى الطب المرجع فى أوربا اللاتينية حتى أوائل القرن الثامن عشر . وقد تأثرت فلسفته بطبه فى اصطناع المنهج التجريبى الدقيق . أما فى

الفلسفة فان الشفاء يعد موسوعة فلسفية تشمل المنطق ، والطبيعيات ، والرياضيات ، والالهيات ، بحسب ما رتبه ارسطو ، او بحسب الفلسفة المشائية ، فهو يحذو حذو المعلم الاول وشراحه مع التأليف بين الآراء المختلفة ، والتوفيق بينها . واثره فى المنطق لا ينكر ، ولا شك انه مسئول عن اذاعة المنطق بحالته الراهنة فى العالم العربى ، حتى ان كتاب البصائر النصيرية فى علم المنطق ، والذى حققه ونشره الاستاذ الامام محمد عبده ، وكان يقوم بتدريسه ، يعد تلخيصا امينا لآراء الشيخ الرئيس .

واثره فى الالهيات لا يقل عن اثره فى المنطق . والمقصود بالالهيات ، او العلم الالهى ، ما نسميه اليوم بالميتافيزيقا . تحدث فيه عن الواجب ، او واجب الوجود ، وعن تسلسل الموجودات عن الواجب ، وعن العلل . فواجب الوجود هو الموجود الذى متى فرض غير موجود عرض منه محال . وممكن الوجود هو الذى متى فرض غير موجود أو موجود لم يعرض منه محال . وقد مر بنا ان الكندى كان يصف الله بانه الحق ، وان الفارابى كان يصفه بانه الواحد ، وهنا ترى نظرة ابن سينا وجودية ومنطقية ، فالله هو واجب الوجود لذاته . والواجب مفهوم منطقى يقابل المستحيل ويتوسط الممكن بينهما . والموجود هو حجر الزاوية فى الفلسفة المشائية ، على حين ان الواحد كما رأينا فوق الوجود فى فلسفة افلوطين .

اى أن الفرق بين المعلم الثانى والشـــيخ الرئيس ان الفارابى يجنح الى الافلاطونية على حين يميل ابن سينا الى المشائية . وليس هذا هو الفرق الوحيد بين الحكيمين وبين المدرستين ، لأن ابن سينا اصطنع فى آخر حياته فلسفة اخرى خلاف المشائية التى بسطها فى الشفاء وفى النجاة ، هى التى يسـميها الفلســفة المشرقية ، كما تتمثـل فى الاشارات . والفلسفة المشرقية اشراقية ، صوفية ، متأثرة بالمشرق فى فارس .

وقد فطن الغزالى (٤٥٠ ــ ٥٠١ هجرية) لما فى آراء ابن سينا من خطر على الاسلام ، فكتب « تهافت الفلاسفة » يكفرهم فى عشرين مسألة ، على رأسها القول بقدم العالم ، وعدم علم الله بالجزئيات ، ونفى المعاد . ولم يستطع ابن رشد فى « تهافت التهافت » أن يقنع الجمهور بعدم صحة هذه التهم ، وانتهى الأمر بالفلسفة الى الانزواء ، ودخلت فى مباحث علم الكلام الذى أصبح يسمى علم التوحيد .

***

اشرنا الى أن الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده جدد مدرسة ابن سينا ، فاشتغل بالمنطق ورجع الى كتبه القديمة كما انه فى « رسالة التوحيد » سلك مسلك الشيخ الرئيس فى اثبات « الواجب » . ولكن محمد عبده لم يكن ملخصا لابن سينا أو شارحا لآرائه ، بل كان صاحب مدرسة فكرية

تدعو الى تجديد النظر الدينى بالعودة الى الاسلام فى منابعه الاولى ، والى اصلاح المجتمع عن طريق اصـــلاح الدين والاخلاق والفكر ، والخروج على التقليد والجمود ، والى تحكيم العقل والفطرة السليمة . وكان محمد عبده قد اخذ هذا الاتجاه الحر الجديد من جمال الدين الافغانى ، الذى يعد بحق رئيس المدرسة .

واخذ عن محمـــد عبده مصطفى عبد الرازق ، الذى استطاع أن ينشر تعاليمه الفلسفية فى الجامعة المصرية حين عين للتدريس فيها ســـنة ١٩٢٧ ، وعندئذ أصبح تعليم الفلسفة موجودا فى مدرسة ثابتة ويدرس من فوق منبر جامعى . وخلاصة راى الشيخ مصطفى عبد الرازق ان المسلمين كانت لهم فلسفة اصيلة لا هى يونانية ، ولا هى فارسية وهندية ، ويمكن التماس هذه الفلسفة فى اصول الفقه . وهذه النظرية ليست جديدة مبتكرة كل الابتكار ، لان كثيرا من المفكرين فى الاســـلام لم تنقطع معارضـــتهم للفلسفة ، وبخاصة للمنطق باعتبار أنه اداة البحث فيها . ولابن تيمية كتاب هام فى نقد المنطق اليونانى .

ولكن تيارات العصر الحديث لم تكن تسمح بالعزلة عن الافكار المعاصرة ، وعن الفلسفات الاوربية التى نشأت فى أوربا منذ القرن الســـابع عشر على يد ديكارت فى فرنسا وبيكون فى انجلترا ، ثم فى القرن الثامن عشر على يد كانط فى المانيا . فكان لا بد للفلسفة العربية المعاصرة أن تأخذ فى

To: www.al-mostafa.com

الاعتبار هذه الفلسفات الوافدة من الغرب ، والعمل على التوفيق بينها وبين تراثنا الفلسفى الموروث .

وكاتب هذه السطور يعتز بأنه كان تلميذا لمصطفى عبد الرازق بالجامعة المصرية ، قرانا عليه البصائر النصيرية فى المنطق ، ولباب الاشارات لابن سينا فى محاضراته . ولازمته بعد ذلك طول حياته ، وعليه قمت بتحضير رسالتى ، ثم انتقلت الى التعليم بالجامعة متابعا روح المدرسة العقلية الحرة التى بداها جمال الدين ، ثم محمد عبده ، ثم مصطفى عبد الرازق .

فهرس

صفحة

الفلسفة والمجتمع ٣
الفيثاغورية ١٤
الأكاديمية ٢٧
المشائية ٤٩
الرواق والحديقة ٧٠
مدرسة الاسكندرية ٨٤
مدرسة أفلوطين ٩٧
مدرسة جنديسابور ١١٥
المدارس الفلسفية الاسلامية ١٢٤
١ ـ مدرسة الكندى ١٢٤
٢ ـ مدرسة الفارابى ١٣٢
٣ ـ مدرسة ابن سينا ١٤١

المكتبة الثقافية

تحقق اشتراكية الثقافة

صدر منها :

١ ـ الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين .	للأستاذ عباس محمود العقاد
٢ ـ الاشتراكية والشيوعية . .	للأستاذ على أدهم
٣ ـ الظاهر بيبرس فى القصص الشعبى	للدكتور عبد الحميد يونس
٤ ـ قصة التطور	للدكتور انور عبد العليم
٥ ـ طب وسحر	للدكتور بول غليونجى
٦ ـ فجر القصة	للأستاذ يحيى حقى
٧ ـ الشرق الفنان	للدكتور زكى نجيب محمود
٨ ـ رمضان	للأستاذ حسن عبد الوهاب
٩ ـ اعلام الصحابة	للأستاذ محمد خالد
١٠ ـ الشرق والاسلام	للأستاذ عبد الرحمن صدقى
١١ ـ المريخ	للدكتور جمال الدين الفندى ، والدكتور محمود خيرى
١٢ ـ فن الشعر	للدكتور محمد مندور
١٣ ـ الاقتصاد السياسى . . .	للأستاذ أحمد محمد عبد الخالق
١٤ ـ الصحافة المصرية . . .	للدكتور عبد اللطيف حمزة
١٥ ـ التخطيط القومى	للدكتور ابراهيم حلمى عبد الرحمن

١٦ ـ اتحادنا فلسفة خلقية	للدكتور ثروت عكاشة
١٧ ـ اشتراكية بلدنا	للأستاذ عبد المنعم الصاوى
١٨ ـ طريق الغد	للأستاذ حسن عباس زكى
١٩ ـ التشريع الاسلامى واثره فى الفقه الغربى	للدكتور محمد يوسف موسى
٢٠ ـ العبقرية فى الفن	للدكتور مصطفى سويف
٢١ ـ قصة الارض فى اقليم مصر .	للأستاذ محمد صبيح
٢٢ ـ قصة الذرة	للدكتور اسماعيل بسيونى هزاع
٢٣ ـ صلاح الدين الايوبى بين شعراء عصره وكتابه . .	للدكتور احمد احمد بدوى
٢٤ ـ الحب الالهى فى التصوف الاسلامى	للدكتور محمد مصطفى حلمى
٢٥ ـ تاريخ الفلك عند العرب . .	للدكتور امام ابراهيم احمد
٢٦ ـ صراع البترول فى العالم العربى	للدكتور احمد سويلم العمرى
٢٧ ـ القومية العربية	للدكتور احمد فؤاد الاهوانى
٢٨ ـ القانون والحياة	للدكتور عبد الفتاح عبد الباقى
٢٩ ـ قضية كينيا	للدكتور عبد العزيز كامل
٣٠ ـ الثورة العرابية	للدكتور احمد عبد الرحيم مصطفى
٣١ ـ فنون التصوير المعاصر . . .	للأستاذ محمد صدقى الجباخنجى
٣٢ ـ الرسول فى بيته	للأستاذ عبد الوهاب حمودة
٣٣ ـ اعلام الصحابة « المجاهدون» .	للأستاذ محمد خالد
٣٤ ـ الفنون الشعبية	للأستاذ رشدى صالح
٣٥ ـ اخناتون	للدكتور عبد المنعم أبو بكر
٣٦ ـ الذرة فى خدمة الزراعة . .	للدكتور محمود يوسف الشواربى
٣٧ ـ الفضاء الكونى	للدكتور جمال الدين الفندى
٣٨ ـ طاغور شاعر الحب والسلام . .	للدكتور شكرى محمد عياد

٣٩ ـ قضية الجلاء عن مصر . . .	للدكتور عبد العزيز رفاعى
٤٠ ـ الخضراوات وقيمتها الغذائية والطبية	للدكتور عز الدين فراج
٤١ ـ العدالة الاجتماعية . . .	للمستشار عبد الرحمن نصير
٤٢ ـ السينما والمجتمع	للاستاذ محمد حلمى سليمان
٤٣ ـ العرب والحضارة الاوربية . .	للاستاذ محمد مفيد الشوباشى
٤٤ ـ الاسرة فى المجتمع المصرى القديم	للدكتور عبد العزيز صالح
٤٥ ـ صراع على ارض الميعاد . .	للاستاذ محمد عطا
٤٦ ـ رواد الوعى الانسانى . . .	للدكتور عثمان امين
٤٧ ـ من الذرة الى الطاقة . . .	للدكتور جمال نوح
٤٨ ـ اضواء على قاع البحر . .	للدكتور انور عبد العليم
٤٩ ـ الازياء الشعبية	للاستاذ سعد الخادم
٥٠ ـ حركات التسلل ضد القومية العربية	للدكتور ابراهيم احمد العدوى
٥١ ـ الفلك والحياة	للدكتور عبد الحميد سماحة ، والدكتور عدلى سلامة
٥٢ ـ نظرات فى أدبنا المعاصر . .	للدكتور زكى المحاسنى
٥٣ ـ النيل الخالد	للدكتور محمد محمود الصياد
٥٤ ـ قصة التفسير	للاستاذ احمد الشرباصى
٥٥ ـ القرآن وعلم النفس . . .	للاستاذ عبد الوهاب حمودة
٥٦ ـ جامع السلطان حسن وما حوله	للاستاذ حسن عبد الوهاب
٥٧ ـ الاسرة فى المجتمع العربى بين الشريعة الاسلامية والقانون .	للاستاذ محمد عبد الفتاح الشهاوى
٥٨ ـ بلاد النوبة	للدكتور عبد المنعم ابو بكر
٥٩ ـ غزو الفضاء	للدكتور محمد جمال الدين الفندى

٦٠ ـ الشعر الشعبى العربى . .	للدكتور حسين نصار
٦١ ـ التصوير الاسلامى ومدارسه .	للدكتور جمال محمد محرز
٦٢ ـ الميكروبات والحياة . . .	للدكتور عبد المحسن صالح
٦٣ ـ عالم الافلاك	للدكتور امام ابراهيم أحمد
٦٤ ـ انتصار مصر فى رشيد . .	للدكتور عبد العزيز رفاعى
٦٥ ـ الثورة الاشتراكية « قضايا ومناقشات »	للاستاذ احمد بهاء الدين
٦٦ ـ الميثاق الوطنى قضايا ومناقشات	للاستاذ لطفى الخولى
٦٧ ـ عالم الطير فى مصر . . .	للاستاذ احمد محمد عبد الخالق
٦٨ ـ قصة كوكب	للدكتور محمد يوسف موسى
٦٩ ـ الفلسفة الاسلامية . . .	للدكتور احمد فؤاد الاهوانى
٧٠ ـ القاهرة القديمة واحياؤها .	للدكتورة سعاد ماهر
٧١ ـ الحكم والامثال والنصائح عند المصريين القدماء . . .	للاستاذ محرم كمال
٧٢ ـ قرطبة فى التاريخ الاسلامى .	للاستاذ محمد محمد صبيح والدكتور جودة هلال
٧٣ ـ الوطن فى الادب العربى . .	للاستاذ ابراهيم الابيارى
٧٤ ـ فلسفة الجمال	للدكتورة اميرة حلمى مطر
٧٥ ـ البحر الاحمر والاستعمار . .	للدكتور جلال يحيى
٧٦ ـ دورات المياة	للدكتور عبد المحسن صالح
٧٧ ـ الاسلام والمسلمون فى القارة الامريكية	للدكتور محمد يوسف الشواربى
٧٨ ـ الصحافة والمجتمع	للدكتور عبد اللطيف حمزة
٧٩ ـ الوراثة	للدكتور عبد الحافظ حلمى
٨٠ ـ الفن الاسلامى فى العصر الايوبى	للدكتور محمد عبد العزيز

٨١ ـ ساعات حرجة فى حياة الرسول . . . للاستاذ عبد الوهاب حمودة
٨٢ ـ صور من الحياة . . . . . للدكتور مصطفى عبد العزيز
٨٣ ـ حياد فلسفى . . . . . للدكتور يحيى هويدى
٨٤ ـ سلوك الحيوان . . . . . للدكتور احمد حماد الحسينى
٨٥ ـ ايام فى الاسلام . . . . . للاستاذ احمد الشرباصى
٨٦ ـ تعمير الصحارى . . . . . للدكتور عز الدين فراج
٨٧ ـ سكان الكواكب . . . . . للدكتور امام ابراهيم أحمد
٨٨ ـ العرب والتتار . . . . . للدكتور ابراهيم احمد العدوى
٨٩ ـ قصة المعادن الثمينة . . . . للدكتور انور عبد الواحد
٩٠ ـ اضواء على المجتمع العربى . للدكتور صلاح الدين عبد الوهاب
٩١ ـ قصر الحمراء . . . . . للدكتور محمد عبد العزيز مرزوق
٩٢ ـ الصراع الأدبى بين العرب والعجم للدكتور محمد نبيه حجاب
٩٣ ـ حرب الانسان ضد الجوع وسوء التغذية . . . . . للدكتور محمد عبد الله العربى
٩٤ ـ لروتنا المعدنية . . . . . للدكتور محمد فهيم
٩٥ ـ تصويرنا الشعبى خلال العصور للاستاذ سعد الخادم
٩٦ ـ منشآتنا المائية عبر التاريخ . للاستاذ عبد الرحمن عيد التواب
٩٧ ـ الشمس والحياة . . . . . للدكتور محمد خيرى على
٩٨ ـ الفنون والقومية العربية . . للاستاذ محمد صدقى الجباخنجى
٩٩ ـ اقلام ثائرة . . . . . للاستاذ حسن الشيخ
١٠٠ ـ قصة الحياة ونشأتها على الأرض للدكتور انور عبد العليم
١٠١ ـ أضواء على السير الشعبية . للاستاذ فاروق خورشيد
١٠٢ ـ طبائع النحل . . . . . للدكتور محمد رشاد الطوبى
١٠٣ ـ النقود العربية «ماضيها وحاضرها» للدكتور عبد الرحمن فهمى

١٠٤ـ جوائز الادب العالمية « مثل من جائزة نوبل »	للاستاذ عباس محمود العقاد
١٠٥ـ الفناء فيه الداء وفيه الدواء .	للأستاذ حسن عبد السلام
١٠٦ـ القصة العربية القديمة . .	للأستاذ محمد مفيد الشوباشي
١٠٧ـ القنبلة النافعة	للدكتور محمد فتحي عبد الوهاب
١٠٨ـ الاحجار الكريمة فى الفن والتاريخ	للدكتور عبد الرحمن زكى
١٠٩ـ الغلاف الهوائى	للدكتور محمد جمال الدين الفندى
١١٠ـ الادب والحياة فى المجتمع المصرى المعاصر	للدكتور ماهر حسن فهمى
١١١ـ الوان من الفن الشعبى . .	للاستاذ محمد فهمى عبد اللطيف
١١٢ـ الفطريات والحياة	للدكتور عبد المحسن صالح
١١٣ـ السد العالى « التنمية الاقتصادية »	للدكتور يوسف ابو الحجاج
١١٤ـ الشعر بين الجمود والتطور . .	للاستاذ العوضى الوكيل
١١٥ـ التفرقة العنصرية	للدكتور احمد سويلم العمرى
١١٦ـ صراع مع الميكروب . . .	للدكتور محمد رشاد الطوبى
١١٧ـ الاصلاح الزراعى والميثاق . .	للاستاذ محمد عبد المجيد مرعى
١١٨ـ اضواء جديدة على الحروب الصليبية	للدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور
١١٩ـ الأمم المتحدة وممارسة نظامها .	للدكتور سليمان محمود سليمان
١٢٠ـ أسرار المخلوقات المضيئة . .	للدكتور عبد المحسن صالح
١٢١ـ التاريخ والسير	للدكتور حسين فوزى
١٢٢ـ تطور المجتمع الدولى . . .	للدكتور يحيى الجمل
١٢٣ـ الاستعمار والتحرير فى العالم العربى	للدكتور جمال حمدان
١٢٤ـ الآثار المصرية فى الادب العربى .	للدكتور احمد احمد بدوى

١٢٥ــ الاسلام والطب . . . . للأستاذ محمد عبد الحميد البوشى
١٢٦ــ الخلى فى التاريخ والفن . . للدكتور عبد الرحمن زكى
١٢٧ــ نافذة على الكون . . . . للدكتور امام ابراهيم احمد
١٢٨ــ الفلاح فى الأدب العربى . . للأستاذ محمد عبد الغنى حسن
١٢٩ــ ثروتنا المائية . . . . للدكتور انور عبد العليم
١٣٠ــ التفكير عند الانسان . . . للدكتور احمد فائق
١٣١ــ رحلات الحيوان والطيور . . للدكتور مريد بنى حنا
١٣٢ــ النيل فى عصر المماليك . . . للدكتور محمود رزق سليم
١٣٣ــ الفلسفة فى الميثاق . . . للدكتور يحيى هويدى
١٣٤ــ ريتشارد فاجنر . . . . للدكتور فؤاد زكريا
١٣٥ــ قصة الألومنيوم . . . . للدكتور انور محمود عبد الواحد
١٣٦ــ المدارس الفلسفية . . . . للدكتور احمد فؤاد الأهوانى

«الثمن قرشان»

دار مصر للطباعة
٣٩ شارع سكاكيني صدقي

المكتبة الثقافية

- أول مجموعة من نوعها تحقق اشتراكية الثقافة
- تيسر لكل قارئ أن يقيم في بيته مكتبة جامعة تحوى جميع ألوان المعرفة بأقلام أساتذة ومتخصصين وبقرشين لكل كتاب
- تصدر مرتين كل شهر في أوله وفي منتصفه

الكتاب القادم

الرسول

لمحات من حياته ولفحات من هديه

للدكتور عبد الحليم محمود

١٥ يوليو ١٩٦٥

مكتبة مصر

الثمن ٢

To: www.al-mostafa.com